الجمهـــوريـــة الجـزائـريـــة الديـمـقـراطـيـــة الشـعـبـيـــة

وزارة التعليـــم العـــالـــي والبحث العلمي

جامعة الجـــيلالي بونعامة – بخميس مليانة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

التناص الديني في رواية الزيني بركات لجمال الغيطاني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: مناهج النقد المعاصر

إعداد الطالبتين:

فاطمة باجي

فاطمة الزهراء مدرس

إشراف الأستاذة:

أحلام بلكاتب

السنة الجامعية: 2015 – 2016

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يشاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

سورة إبراهيم الآية ﴿٤﴾

كلمة شكر

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهنا من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة" بلكاتب أحلام" التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث.

الشكر لكل أساتذة اللغة العربية بجامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، ولا يفوتنا أن نشكر كل موظفي الجامعة.

كما نتقدم بالشكر إلى عمال المكتبة على كتابة وطباعة هذه المذكرة.

الاهداء

بسم الله الرحمن الرحيم: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

أهدي ثمرة هذا العمل:

إلى من أدّى الأمانة ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم.

إلى سندي في الدنيا إلى من أحمل اسمه بكل افتخار "أبي الغالي" أطال الله في عمره وادامه فخرا لنا.

إلى أعزّ وأغلى وأحن وأرقّ قلب في هذا الوجود " أمي الغالية" أدامها الله تاجا على رؤوسنا.

إلى من عرفت معه الحياة، إلى شريكي وسندي وقوتي وسعادتي زوجي جمال حفظه الله لي شمعة تنير حياتي

إلى عائلتي الثانية عائلة لدبال من كبيرها إلى صغيرها، وإهداء خاص إلى حنين وعبدو

إلى إخوتي وأخواتي: فريد، عبد القادر، عبد الله، عز الدين، زهرة، عقيلة.

إلى الأخوات اللاتي لم تلدهن لي أمي، إلى من كبروا بالحنان والوفاء: نصيرة، نصيرة، حنين، سليمة، حياة، صفية، كريمة، حفيظة، وفاء، سعاد.

إلى الذكريات السعيدة بالإقامة الجامعية التي لا أنساها.D115

إلى شريكتي في هذا العمل: فاطمة الزهراء.

إلى كل من شجّعني في رحلتي إلى النجاح ولو بكلمة.

وأخيرا إلى كل طالب علم.

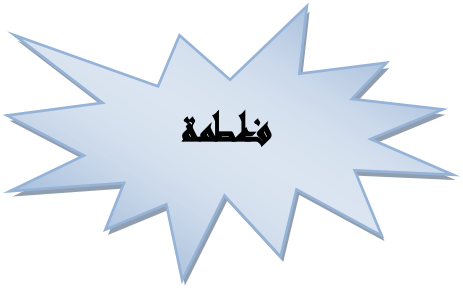

الاهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى نجمتي الوضاءة ومنبع الحنان ومصدر الأمان وثقل الأوزان، إلى مستودع الرحمة والرياحين أمي الغالية.

إلى سندي في الدنيا وعمدي في الآخرة، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أبي الغالي.

إلى إخوتي محمد، سفيان، أيمن وإلى أرواح إخوتي: رقية، نسرين، عبد الرزاق.

إلى كل أعمامي وعماتي خلاتي وأخوالي من كبيرهم إلى صغيرهم، وإلى أبناء عمي هشام رحمه الله: رحمة، محمد، أنيس، أريج، أحمد.

إلى زوجي المستقبلي حفظه الله ورعاه على الدوام.

إلى أعز صديقاتي اللواتي أكنّ لهن المحبة والمودة: زهراء، نعيمة، ليلى، أحلام، منال، مريم، سميرة، فايزة.

إلى كل طاقم الجمعية الخيرية كافل اليتيم.

كما أهدي هذا العمل إلى صديقتي وأختي الغالية فاطمة.

فاطمة الزهراء

مقدَّمة

تعد قضية التناص واحدة من أكثر القضايا التي التهبت حولها الساحة النقدية الغربية والعربية، حيث كثرت الدراسات الأدبية التي تناولت هذا المصطلح بالدراسة والتحليل، وتنوّعت مناهجها الاجرائية من بلاغية وفنية وجمالية ولغوية وغيرها من المناهج التي حاول أصحابها أن يبحثوا عن بغيتهم بالنظر في هذا الموضوع من خلال الآليات الاجرائية التي اتخذوها في دراستهم من أجل بيان قدرة النص الجديد على احتواء النصوص السابقة له، وخاصة النصوص الدينية كالقرآن الكريم والسنة النبوية والانجيل والتوراة لما يحمله الدين من أهمية بالغة في التأثير على الشعوب والأمم.

النص الديني هو النص المقدّس الذي لا يحتمل النقاش والجدل، فهو كلام الله عزّ وجلّ المعجز في بلاغته وفصاحته، الصالح لكل زمان ومكان والذي يحمل دلالات لا متناهية، وهذا ما يجعله مصدرا قويا للتناص يوظفه الروائي في مؤلفاته لمعالجة قضايا المجتمع، إضافة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الأمم السابقة التوراة والانجيل.

وتعتمد عملية الإبداع على مجموعة من الأساليب اللغوية ومن أهمها أسلوب التناص الديني وموضوع بحثنا هذا يسعى إلى المساهمة في الحوار الذي يعرفه المشهد النقدي الحديث حول طريقة بناء النصوص الابداعية، فالتناص الديني محور مهم في هذا البناء لأنه يسمح بالتشارك والتحاور بين النصوص لصياغة نص جديد، وتتمثل أهميته أيضا في معرفة جذور التناص وخاصة التناص الديني وكيف وظّف في الرواية العربية من خلال التطبيق على رواية الزيني بركات للروائي جمال الغيطاني.

ومما لا شك فيه أن لكل بحث هدفاً، وهدف بحثنا يتمثل في اكتساب الخبرة بالدرجة الأولى وإضافة دراسة جديدة مكملة للدراسات السابقة لهذا الموضوع، إلى جانب الاجابة عن الإشكالات المطروحة لكشف الغموض عن بحثنا هذا.

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هي: طلب العلم النافع الذي حثّنا عليه ديننا الاسلام، والرغبة والفضول في معرفة خباياه والتوغل أكثر في أعماقه برصد أفكار نقاد الغرب، ومحاولات نقاد العرب في تلمس الطريق الملائم الذي يسمح بإقامة نظرية معرفية عربية تستخدم لإثراء الخطابات، تجمع بين التراث والمعاصرة – النص القديم مع النص الجديد– ومدى الانصهار والامتزاج والتفاعل البناء بينهما، وهذا هو جوهر التناص الحقيقي الذي سنبرزه في بحثنا هذا.

ومن الدوافع أيضا في اختيارنا لرواية الزيني بركات كأنموذج للدراسة والتحليل مكانة هذه الرواية في الأدب العربي، وسعيا منا لاكتشاف المتناصات الدينية الواردة فيها بتتبع مواضع التناص بأشكاله المختلفة وربطه بمصادره، ومحاولة تحليل دلالاته الموضوعية والفنية ووجه التشابك والتعالق بين معاني المقاطع الروائية والنصوص المتناص معها، وهذا يبرز انعكاس الثقافة الدينية على المجتمع.

إضافة إلى هذا نذكر سبب قلة الدراسات التي تناولت هذه الرواية بتحليل الجانب الديني، حيث أن معظم البحوث خصّصت دراستها إلى جانب التاريخي لها، إلا أن الجانب الديني ظاهر جلي صريح فيها، فالنص سلسلة من الانعكاسات والدلالات والمعاني الدينية المقتبسة من القرآن والمستنبطة من الحديث الشريف والكتب السماوية الأخرى كالتوراة والانجيل.

ومن الدراسات السابقة لهذا الموضوع نذكر مقالا للدكتور "متقدّم الجابري" بعنوان: "جماليات التعالق النّصي في رواية الزيني بركات لجمال الغيطاني"، بمجلة كلية الأدب

واللغات، جامعة محمد خيضر ببسكرة، العدد الثامن، جانفي 2011م، حيث تميّزت معظم الدراسات السابقة بتحليلها لرواية الزيني بركات من الناحية التناص التاريخي.

وقد أخذت الرواية العربية دورا مهما في هذه المعالجة، وهذا ما نجده في موضوع دراستنا الموسوم بـــــــ" التناص الديني في رواية الزيني بركات"، فما هو التعريف الضابط للتناص الديني؟ وما هي أهم المتناصات الدينية التي وظفها الغيطاني في رواية الزيني بركات؟ وما هي وظيفتها؟

وبغية الالمام بمختلف جوانب الموضوع وتشكيل تصور واضح حوله ارتأينا تقسيم بحثنا إلى فصلين إلى جانب مقدمة وخاتمة.

الفصل الأول نظري تحت عنوان: التناص الديني وهو يضم خمسة مباحث.

المبحث الأول بعنوان: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتناص، متضمن لتعريف التناص لغة واصطلاحا، أما **المبحث الثاني** فيحمل عنوان: التناص في النقد الغربي والنقد العربي، وفيه ذكرنا أهم رواد التناص في النقد الغربي أمثال: جوليا كريستيفا، تودوروف، جيرار جنيت... إضافة إلى رواد التناص بالنقد العربي أمثال: محمد مفتاح، محمد بنيس، وسعيد يقطين...، أما **المبحث الثالث** فهو بعنوان: آليات التناص ومصادره، وفيه أوردنا آليات التناص حسب الناقد محمد مفتاح في كتابه: تحليل الخطاب الشعري وكذلك المصادر الأساسية للتناص، ثم يأتي **المبحث الرابع** وهو موسوم بـــ: "التناص الديني في الرواية العربية وجمالياته"، وفيه تحدثنا عن أهمية توظيف التناص الديني في الرواية العربية والأثر الذي يحدثه في هذا النص، وختمنا الفصل الأول **بالمبحث الخامس** تحت عنوان: تناص الرواية الديني مع القرآن الكريم، السنة النبوية " الحديث النبوي "، ومع التوراة والانجيل.

أما **الفصل الثاني** فخصصناه للتطبيق على رواية الزيني بركات للروائي جمال الغيطاني، ويتضمن أربعة مباحث، وكان **المبحث الأول** بعنوان: التناص مع القرآن وفيه أبرزنا

المقاطع الروائية المتناصة مع القرآن الكريم كالتناص مع الآيات القرآنية ومع القصص القرآني بأسلوب سردي، أما **المبحث الثاني** فكان عن: التناص مع الحديث الشريف من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وكان **المبحث الثالث** حول التناص مع التوراة، في حين كان **المبحث الرابع** حول التناص مع الانجيل.

أما بالنسبة للمنهج الذي اتبعناه في دراستنا لهذا الموضوع فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي بيّن مواضع التناص من خلال عرض المقاطع المتناصة في الرواية ثم تحليلها بهدف فهم جزئياتها ومكوناتها ومعانيها وإظهار التناص الحاصل فيها.

ولإنجاز بحثنا هذا اعتمدنا على كل من:القرآن الكريم برواية ورش، إلى جانب كتاب تحليل الخطاب الشعري " استراتيجية التناص لمحمد مفتاح" الذي تناول فيه قسما نظريا خصّصه لعناصر تحليل الخطاب، وكتاب التناص المقارن " نحو منهج عنكبوتي تفاعلي "لعز الدين المناصرة" الذي تناول في قسم منه رواد التناص في النقد الغربي والنقد العربي، التناص القرآني دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة " لياسر رضوان"، إلى جانب رواية الزيني بركات للغيطاني كمدونة للبحث.

وكأي بحث من البحوث لا يخلو بحثنا من العراقيل والصعوبات والتي تمثلت في : قلة المصادر والمراجع بمكتبة الجامعة حول التناص الديني، إلى جانب قلة الكتب التي تناولته، وهذا ما دفعنا للتوجه إلى المقالات الأدبية التي تعرضت للتناص الديني لتحديد مفهومه وحيثياته.

وأخيرا نتوجه بالشكر العميق لأستاذتنا المشرفة على بحثنا " **بلكاتب أحلام** " التي كان لها الدور الكبير إثراء بحثنا هذا.

تمهيد

يعدّ التناص من أهم المفاهيم النقديّة التي اهتمت بها الشعريّة الغربيّة وما بعد البنيويّة والسميائيات النصيّة، لما له من فعاليّة إجرائيّة في تفكيك النص وتركيبه والتغلغل في أعماقه ولا شعوره الإبداعيّ.

وإذا كان التناص مصطلحا نقديّا تسلّح به النّقاد العرب الأقدمون تحت تسميّات عديدة مثل: السرقات الشعرية، التضمين، النحل، الانتحال، الأخذ، التّأثّر، فإن النقاد والدارسين الغربيين ابتعدوا عن هذا المفهوم للتّناص واهتموا بالجانب الايجابيّ الذي يتمثل في أصول الابداع ومكوناته النّوعيّة وعلاقات التفاعل والتأثر والتأثير.[1]

ويعدّ التّناص من أهم المفاتيح الاجرائيّة لفهم الادب المقارن ورصد عملية التثاقف والحوار بين الحضارات والثقافات الانسانيّة في شتى المجالات الفكريّة والفنيّة والأدبيّة، وكذلك أداة ناجحة لمقارنة النص الأدبي واستنطاق سَنَنِهِ اللغويّ وبنيته العميقة والدخول إلى أغوار النص واستكناه دلالاته وتفاعلاته الخارجيّة والدّاخليّة، لأنّ النّص مهما كان فهو شبكة من التّفاعلات الذهنيّة ونسق من المصادر المضمرة والظّاهرة التي تتوارى خلف الأسطر.[2]

وما دام التّناص مجموعة من الأصوات والحالات المنصهرة في النص الأدبيّ بطريقة واعيّة وغير واعيّة، فهو موجود ومن الصعب الحديث عن الابداع الأصيل الخالص للمبدع أو عن النص الأدبيّ، كما يرى "بارت" في كتابه "درس السيميولوجيا":

1- ينظر: ناصر الأسديّ، اغتيال الممانعة، عتبة سيميائيّة في التّناص والخطاب والحكاية، منشورات ضفاف، الرياض، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص38.

2- ينظر المرجع نفسه، ص39.

"... بل النصوص الابداعيّة هي امتصاص ومحاكاة للنصوص السّابقة وتتفاعل معها عبر عمليّات الحوار والنّقد والأسلبة والتهجين، السخرية...[1]

وهنا لا يمكن الحديث بحال من الأحوال عن فكرة التّناص دون ذكر الأعمال النظريّة لجماعة "تيل كيل" ومجلّتها الحاملة للاسم نفسه سنة 1960م، وما جاءت به النّاقدة البلغاريّة " جوليا كريستيفا " في تصورها للنّص الايديولوجيم[*]، وما استفادت منه من ترسيخ هذا العلم من أبحاث الناقد الروسيّ" مخائيل باختين " الذي يقرّ بأنّ النّص يقع عند ملتقى مجموعة من النّصوص الأخرى،ثم كيف تطور هذا الجهد إلى أن تبلور وشُيِّد هذا المصطلح "التّناص" وبناء إطاره المفهوميّ بالعمل الذي قام به الناقد الفرنسيّ " جيرار جنيت" في كتابه " الأطراس" 1983م.[2]

كل هذه المحاور تتدرج من خلالا السؤال التالي: ماذا يقصد بالتناص؟

1- ينظر المرجع السابق، ص39.

(*)- مصطلح اشتقّته جوليا كريستيفا من المنهج الشكلي في نظرية الأدب، وهو يعني تلك الوظيفة للتداخل النصي، ينظر: علم النص لجوليا كريستيفا.

2- ينظر المرجع السابق، ص39.

المبحث الأول: التّناص لغة واصطلاحا

التناص لغة

إذا ما تتبعنا مفهوم التّناص لغة نجد أن صاحب اللسان يورد كلمة "التّناص" بمعنى الاتصال والالتقاء،حيث يقول:" هذه الفلاة تُنَاصُ لأرض كذا وتواصيها، أي تتصل بها"[1]

بيد أن مفهومي الانقباض والازدحام يردان تحت جذر "نَصَصَ"، عند صاحب تاج العروس لقوله: "انتصّ الرجل انقبض وتناصّ القوم ازدحموا[2]،ولعلّ المعنى الأخير من التعريف السابق، يؤكد فكرة التّناص بدلالته الحديثة، فتشابك النصوص واتّصالها معا قريب جدا من فكرة ازدحامها في نص ما، أما حديثا فقد جاء عند مؤلفي المعجم الوسيط " تناص القوم ازدحموا"[3] و إخال أنّ التّناص في الوسيط لا يعني الدلالة التي يمنحها لها الاستعمال النقديّ الحديث إلاّ بالتأويل والتلميح والتخريج المتحمل المتكلف، لذا فالأرجح أنها دخلت المعجم الوسيط عن طريف الترجمة تأثرا بالثقافات الأخرى والتقارب معها"[4]

1- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الافريقي المصري "ت 711ه "، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1978م، مادة " ن ص ص "،97

2- محمد مرتضى الزبيدي (ت 521ه)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، 1984، مادة ن ص ص.

3- مصطفى ابراهيم وآخـــرون، معجم الوسيـــط، مجمـــع اللغة العربيـــة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، مادة ن ص ص،

4- ابراهيم مصطفى محمد الدهنون، التناص في شعر أبي العلاء المعري، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011م، ص09.

التناص اصطلاحا

أحدث مصطلح التّناص" *intertextualité* " في النّقد الحديث حِراكا واسعا وشغل الحداثيين جميعا، وأثار بينهم جدلا نقديا،كان مؤداه اختلاف النّقاد العرب على ثابتة إيجاد صيغة لفظيّة أو ترجمة موحّدة أو تيمة لغويّة لمصطلح التناص، فأحيانا يترجم الى تناص وأحيانا يترجم إلى بينصيّة التزاما بأمانة نقل المصطلح باللّغة الإنجليزيّة، ويرجح عندئذ أن تكون الترجمة الأخيرة أقرب إلى المصطلح في لغته الأصليّة، حيث يجزّئه بعض النقاد الحداثيين إلى: " *inter* – بين" و"نص –*texte*" فيكون التعبير أكثر دقة هو: "بين نص"[1]،وفضلا عن ذلك نقرأ مسمّيات شتى وترجمات عديدة للتناص سنقف عند بعضها لاحقا في التناص بنسختيه الغربيّة والعربيّة.

أمّا مصطلح التّناص فهو ترجمة للمصطلح الفرنسيّ *intetext* وبذا تأتي كلمة*inter* في الفرنسية: التبادل بينما تشير كلمة *texte* إلى النّص في الثقافة الغربيّة التي هي من أصل لاتينيّ"*textus* " وتعني النسيج أو"الحبك" ويصبح معنى " intertexte "التبادل النصيّ،الذي ترجمه بعض النّقاد العرب بمصطلح التّناص، كما هو عند " سعيد علوش" في كتابه الموسوم بـــمعجم المصطلحات الأدبيّة والنّقديّة" فإنه يشكّل مصدرا أساسيا لإبراز المعنى الرئيسي للتّناص والذي يتّسق اتساقا كبيرا مع توليف "تحليل الخطاب الشعري،استراتيجيّة التناص " لمحمد مفتاح[2] ، والناقدان يشيران لمصطلح التّناص بدءا من جوليا كريستيفا وانتهاء برولان بارت،خارجين بالاستنتاجين الآتيين:[3]

1- المرجع السابق، ص09.

2- المرجع نفسه، ص09

3- المرجع نفسه، ص09

1/ يعدّ التّناص عند " كريستيفا "مزية أساسيّة للنّص تحيل على نصوص أخرى سابقة عليها.

2/ يعلن " فوكو" بأنه لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيرا آخر، فلابد أن تتوفر أحداث متسلسلة متتابعة تتصل معا.

فالتّناص إذن عملية استيعابيّة واحتوائيّة للنصوص السابقة،والنص المتناص يحمل بعض صفات الأصول، لاسيما المؤثرة والفعالة.

ويتّضح ممّا سبق أن التّناص هو أن يتضمّن نص أدبيّ ما نصوص أو أفكار أو معارف أخرى سابقة عليه،بحيث تندمج النصوص السابقة مع النّص الأصلي مشكّلة نصا جديدا موحّدا ومتكاملا.[1]

وأخيرا يمكن القول:أن التناص ظاهرة لغويّة معقدة تستعصي على الضبط والتقنين إذ يعتمد في تميزها[2] على ثقافة المتلقي، وسعة معرفته وقدرته على الترجيح.[3]

1- ابراهيم مصطفى محمد الدهنون، التناص في شعر أبي العلاء المعري، ص 10.

2- المرجع نفسه، ص09

3- المرجع نفسه، ص10.

المبحث الثانيّ: التناص في النقد الغربيّ والنقد العربيّ

التناص في النقد الغربي

إنّ الحديث عن التّناص في سياقنا هذا يستدعي محاولة تحديد معنى النّص الذي يبدو أنّه كغيره من المصطلحات الحديثة، يتميّز بشيء من الروغان والتّعدديّة التي لا تحيل إلى توحّد، وربما كانت هذه التّعدّديّة ناتجة من نواتج تعدّد المدارس اللسانية وتنوعها، تلك التي برز فيها المصطلح واصطبغ بأصباغها وألوانها إلى الحدّ الذي يبدو معه كائنا مختلط الامشاج والقسمات، فقد يعرّف النّص على أنه: " تتابع متماسك من الجمل " وقد ينظر إليه أنه " وحدة كلاميّة تامّة مستقلّة نسبيّا يحقّقها المتكلم بهدف معين في إطار ظروف مكانيّة وزمنيّة محدّدة "[1]

هذان التّعريفان وإن كانا يلحّان على التّماسك والترابط النصيّ بين الأجزاء المكوّنة لكل نص من النّصوص، فإنهما لا يفرقان بين نص مكتوب أو مقروء أو منطوق، فالتّتابع المتماسك من الجمل أو الوحدة الكلاميّة التّامة المستقلة وما يرتبط بها من التوالي لأيّ عدد من الجمل يشمل ما هو مكتوب،[2] وهذا ما نجده عند " دومنيك مانغوتو" عن النّص أنّه: ذو متتاليّة لغويّة مستقلّة كانت شفوية أو مكتوبة، أنتجها متلفّظ واحد أو عدّة متلفظين في سياق تبليغيّ اتصاليّ معين".[3]

1- ياسر رضوان، التناص القرآني " دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة "، دار إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2013م، ص 14.

2- المرجع نفسه، ص14.

3- المرجع نفسه، نقلا عن دومينيك مانغوتو،المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط1، 2008م، بيروت لبنان، ص14.

وهذا التّبليغ وذاك الاتّصال هو ما نجده عند "جوليا كريستيفا" التي تنظر إلى النّص أنّه: " جهاز نقل لسانيّ يعيد توزيع نظام اللغة بواسطة الربط بين كلام تواصليّ يهدف إلى الاخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه والمتزامنة معه".[1]

ووفق هذه المعطيات التي أفرزتها تلك النقاشات والأبحاث في نظرية النص ولدت نظرية التّناص" *intertextualité*"التي تقوم على فكرة انفتاح النّص الأدبيّ وتفاعله مع النصوص الأخرى في مجموعة من العلاقات، وتكاد تجمع الآراء على ردّه إلى ثلاثة نقاد سيميائيين أنثروبولوجيين وهم: " رولان بارت، ميشال ريفاتير وجوليا كريستيفا".[2]

ويعدّ "ميخائيل باختين" أول من بلور مصطلح التّناص كمفهوم يعني إقامة علاقة بين النّصوص بكيفيّات مختلفة، وبخاصة في أبحاثه المتعلقة بمفهوم الحواريّة ونظريته في الملفوظ التي عدّها الكثير من النقاد عاملا مهمّا في ظهور مصطلح التّناص، إذ يقول باختين : " إن العمل الأدبيّ والروائيّ بوجه خاص إطار تتفاعل فيه مجموعة من الأصوات أو الخطابات المتعددة ... ، كما أنّ كل تغيير نحويّ أو دلاليّ يعبّر عنه سواء في الحياة اليوميّة أو في الأدب يعود إلى العلاقة بين المتحدّث ومستمعيه".[3]

ورغم اقتصار حوارية باختين على الفن الروائي، إلا أنها كانت الدعامة الأساسية في بلورة مفهوم التناص.

كما أن ميخائيل باختين وإن كان له فضل كبير على العديد من النقاد الذين جاءوا من بعده أمثال ريفاتير وجوليا كريستيفا من خلال رصدهم لملامح تشكل هذا المفهوم،إلّا

1- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، منشورات توبقال، الرباط، المغرب، ط2 ، 1997م،ص14.

2- ينظر: أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2001م، ص120.

3- سعد البازغي وميجان الرويلي، دليل النّاقد الأدبي، المركز الثقافي العربيّ، المغرب، ط2، 2001 م، ص211.

أنّ جل الباحثين يجمعون على إرجاع الفضل في ظهوره الى الناقدة البلغارية جوليا كريستيفاعلى اعتبارها أول من نظّرت لهذا المصطلح واستخدمته في مقالاتها وبحوثها التي أصدرتها في مجلتي (تيل كيل) (وكريتيك) معتمدة في تحديدها لمصطلح التناص على الإرث النقدي الذي تركه باختين وخاصة تلك المقدمة التي تصدرت كتابه عن دستوفسكي.[1]

أما تودروف فيرى أن مصطلح الحوارية مصطلح مربك، ولذا سوف يستخدم مصطلحا أكثر شمولا وهو مصطلح التناص الذي استخدمته جوليا كريستيفا في تقديمها لباختين مدّخرا مصطلح الحوارية إلى أمثله خاصة.[2]

ولكن كثيرا من الباحثين يرون أن التناص متربط بالحوارية، وأن حيوية هذا المفهوم مستنبط من مبدأ الحوارية الذي تبناه باختين ومرد ذلك أن حوارية باختين لا تشير إلى حوارية الذوات فقط، بل إلى حوارية النصوص أيضا، كما يربط البعض الآخر عملية التناص بعنصر التأويل على اعتبار أنه يأتي دائما متمما لعملية القراءة،ويرتبط بالمفهوم المفترض للنّص، وهذا ما وضحه تودوروف عندما أشار الى أنّ كل عملٍ تعاد كتابته من طرف قارئ يفرض عليه منظورا تأويليا لا يكون في الغالب هو المسؤول الأول عنه،لكنه يأتيه من ثقافته وعصره.[3]

1- جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، دار هومة، د ط، ص226.

2- رمضان الصباغ، نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 1998م، ص337.نقلا عن تودوروف تزفيتان، باختين المبدأ الحواري.

3- المرجع نفسه، ص337.

وانطلاقا من هذا المفهوم يصبح القارئ عنصرا فاعلا في عملية التلقي وفي النص، من خلال استثماره لمعارفه ومخزونه الثقافي، والوقوف على الإحالات والعلاقات والاقتباسات التي يشتمل عليها النص، وتصبح عملية البحث عن النص الغائب عملية حتمية انطلاقا من الإيمان بأن حوار النص ظاهرة معتادة في تاريخ الأدب.[1]

فالتناص بوصفه تعالق النصوص جعل أغلب الدارسين باختلاف مناهجهم النقدية يجمعون على أنه أمر لا فكاك منه للشاعر أو الأديب، حيث كان توظيف التناص محاصرا بنوع من الرقابة، كان لها أثر سلبي الى حد الوقوف فيوجه سيرورة النشاط الإبداعي بحجة اعتبار التداخل النّصي سرقة وانتحالا وغيرها من الأوصاف المشابهة.[2]

فلا ضير – إذا – أن يصبح التناص في عصرنا أداة فنية وقيمة جمالية واتجاها نحو التكامل في الكشف عن موقف اللاحق بالسابق، لأنه اذا كان البحث عن علاقات التفاعل النصي يمثل محاولة للكشف عن اتجاهات القراءة التي ترجع إلى القارئ وسياق تجربة القراءة فالتحليل الأسلوبي يمكن أن يسهم في الكشف عن الطريقة التي تمّت بها إعادة كتابة النص السابق.[3]

وهذا تأكيد على أهمية فعل القراءة في عملية التناص، فهو يحدث قبل كل شيء بفعل القراءة، فيبدو وكأن القارئ مُنِح رخصة العبور غبر المشروط حيث لا يعود إليه فقط أمر اكتشاف التناص والتعرف عليه، بل تصبح كفاءته وذاكرته مقاييس تسمح بتأكيد حضور التناص.[4]

1- – رمضان الصباغ، نقد الشعر العربي المعاصر،ص 338، نقلا عن تودوروف تزفيتان، باختين المبدأ الحواري.

2- المرجع نفسه، ص339

3- جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، اصدارات رابطة ابداع الثقافية، د ط، ص45.

4- المرجع نفسه، ص46.

تودوروف: حوارية باختين

إذا كانت جوليا كريستيفا هي مبدعة مصطلح التناص، فهي اعتمدت في ذلك على المبدأ الحواري عند باختين في كتابه "شعرية ديستوفيسكي" 1929م، ونلجأ الى كتاب تودوروف عن المبدأ الحواري عند باختين الذي يقول في مقدمته: " إن أهم مظهر من مظاهر التلفظ هو حواريته أي ذلك البعد التناصيّ فيه"[1]،وفي فصل خاص بالتناص يشرح تودوروف المبدأ الحواري من زاوية التناص على النحو التالي:[2]

أولا يقول باختين: " يمكن قياس هذه العلاقات التي تربط خطاب الآخر بخطاب الأنا بالعلاقات التي تحدّد عمليات تبادل الحوار، رغم أنّها بالتأكيد ليست مماثلة، ويدخل فعلان لفظيان اثنان في نوع خاص من العلاقة الدلالية، ندعوها علاقة حوارية، والعلاقات الحوارية هي علاقات دلالية بين جميع التعبيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي".[3]

ثانيا يقول تودوروف: إن التناص ينسب إلى الخطاب ولا ينتسب إلى اللغة، ولذا فإنه يقع ضمن مجال اختصاص علم عبر اللسانيات ولا يخص اللسانيات، إذ ينبغي استبعاد العلاقات المنطقية من دائرة الحوارية يقول باختين: " إن هذه العلاقات الحوارية خاصة

1- عز الدين المناصرة، التناص المقارن، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992م، ص140، نقلا عن تودوروف تزفيتان، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1996م.

2- المرجع نفسه، ص140.

3- المرجع نفسه،ص140، نقلا عن باختين، شعرية دستوفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة حياة شرارة، دار توبقال الدار البيضاء، ط1، 1986م.

ومميزة بصورة عميقة، ولا يمكن اختزالها إلى علاقات من نمط منطقي أو لغوي أو نفسي أو آلي، إنما نمط استثنائي وخاص من العلاقات الدلالية "[1]

ثالثا: التوجّه الحواري هو بوضوح ظاهرة مشخصة لكل خطاب، وهي الغاية الطبيعية لكل خطاب حي يفاجئ الخطاب، خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئا سوى الدخول معه في تفاعل حاد وحي.[2]

رابعا يقول تودوروف: أن باختين منذ كتابته عن دستوفيسكي، وضع النثر الذي يتوافر على خصوصية تناصيّة في تعارض مع الشعر الذي لا يتوافر على هذه الخصوصية حيث يقول باختين بأنه في الصورة الشعرية تنسى الكلمة تاريخ انبثاق غايتها المتناقضة وبروزها إلى مجال الوعي، كما تنسى الشرط الحاضر المختلف والمتناقض لهذا الوعي على عكس النثر ويقول: لا تنتفع معظم الأنواع الشعرية من الحوارية الداخلية للخطاب فنيا، إنها تنفذ إلى الغاية الجمالية للعمل، لأنها مقيّدة إلى الخطاب الشعري، ويعلّق تودوروف قائلا: قد تكمن أسباب هذه المعارضة، في حقيقة كون القصيدة فعلا للتلفظ بينما الرواية تمثّل تلفظا واحدا، فالرواية وفق باختين تظهر فيها عملية التناص بصورة حادة وقوية عكس الشعر.[3]

خامسا يلخص تودوروف أنماط التناص المتعدّدة التي ميّزها باختين في وصف العلاقة بين الخطاب المقتبس والخطاب المقتبس منه، وهناك ثلاثة أشكال هي: [4]

1- المرجع السابق، نقلا عن نقلا عن تودوروف تزفيتان، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ص140.

2- المرجع نفسه، ص141.

3- المرجع نفسه،ص141،نقلا عن نقلا عن تودوروف تزفيتان

4- المرجع نفسه، ص141، نقلا عن نقلا عن تودوروف تزفيتان.

1- قد يكون هناك اختلاف في الموضع الذي يمكن أن نصطدم فيه بخطاب الآخر، فقد يكون هو نفسه الشيء الذي تتحدّث عنه أو المخاطب الذي نوجّه إليه ملاحظاتنا، وبالنسبة لباختين: ليس هناك شيء لم تلطّخه تسمية سابقة.

2- يمكن استحضار خطاب الآخر، خصوصا في الرواية بأشكال متعدّدة ومختلفة مثل الخطاب الذي لا يزعم راوٍ فعلى تمثيل الراوي في حالة النمط الشفوي أو المكتوب الأسلوب المباشر، ونطاقات الشخصيات، وأخيرا الأجناس المطمورة.

3- يستطيع المرء أن ينوّع في درجة حضور خطاب الآخر.

يقدّم باختين تمييزا من ثلاث درجات: [1]

الأول: هو الحضور التام أو الحوار الصريح.

الثاني:لا يتلقى خطاب الآخر، أي تعزيز مادي، ومع ذلك فإنه يُستحضر.

الثالث: هو التهجين أي تعميم للأسلوب الحر المباشر.

1- المرجع السابق، ص141.

جوليا كريستيفا

هناك إجماع نقدي على أن جوليا كريستيفا البلغارية التي تحمل الجنسية الفرنسية هي أول من وضع مصطلح التناص عام 1966م، منطلقة من مفهوم الحوارية عند باختين الروسي، حيث ترى أن النص الأدبي خطاب يخترق وجه العلم والايديولوجيا ويتنطّع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها، ومن حيث هو خطاب متعدّد يقوم النص باستحضار كتابة ذلك البلور، الذي هو محمل الدلالية المأخوذة في نقطة معينة من لا تناهيها.[1]

ثم تقرّر بأن النص هو انتاجية وهذا يعني: [2]

1- أن علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع.

2- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى، مع الملفوظات التي سيق عبرها في فضائه، أو التي يحيل إليها في فضاء النصوص الخارجية، " اسم الايديولوجيم الذي يعني تلك الوظيفة للتداخل النصي".

وهي ترى أن المدلول الشعري يحيل إلى مدلولات خطابية مغايرة بشكل يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعري، هكذا يتمّ خلق فضاء نصي متعددّ حول المدلول الشعري، هذا الفضاء النصي ستسميه كريستيفا " فضاءً، متداخلا، نصيا ".[3]

1- جوليا كريستيفا، علم النص، المصدر نفسه، ص14.

2- المصدر نفسه ص 21.

3- المصدر نفسه، ص 78.

فالنص الشعري ينتج داخل الحركة المعقّدة لإثبات ونفي متزامن لنص آخر والتناص عند كريستيفا هو ذلك التقاطع داخل نص لتعبير (قول) مأخوذ من نصوص أخرى.[1]

والعمل التناصيّ هو اقتطاع وتحويل، وتقول كريستيفا بأن التناصية هي أن يشكّل كل نص من قطعة الشواهد، وكل نص هو امتصاص لنص آخر أو تحويل له.[2]

1- المصدر السابق، ص 79.

2- المصدر نفسه، ص 79.

جيرار جنيـــــــــــت

يعدّ الناقد جيرار جنيت من أبرز النقاد الذين أولوا التناص عناية كبيرة بالتحليل والدراسة، حيث اعطاه نفسا جديدا وصياغة جديدة، إذ منذ أن شاع المصطلح في حقل الدراسات الأدبية في أواخر الستينات، وهو يثير همة الباحثين والدارسين للكشف عن مختلف العلاقات المتحققة داخل النص أو بين النصوص.

وكان من نتائج ذلك أن ظهرت جملة من المصطلحات الفرعية مع جيرار جنيت تجسّد كلها هذه العلاقات وتسهم في إضاءة النص وتعميق نظرياته المختلفة[1] في ضوء ما أسماه بالمتعاليات النصيّة، والتي تتصّف بالشمولية والدقة والمرونة، ولقد استعمل جيرار جنيت هذا المصطلح ليحل محل مصطلح التناص، لأنه أجمع وأشمل وهو يتّسع وفق تصوره لمختلف العلاقات النصية التي ليس التناص سوى واحد منها، وبذلك يغدو التناص مفهوما فرعيا يشكّل مع باقي المفاهيم التي أدخلها جنيت أنواعا وأشكالا من المتعاليات النصيّة.[2]

وقد أنتج بحثه الطويل في مجال تنمية مفهوم التناص جملة من الأنواع والأشكال تتجاوز قراءة النصوص الأدبية وتميزها، وتحاول الاجابة على نحو لساني عن سؤال رئيس صاغه رومان جاكبسون هو: ما الذي يجعل رسالة لفظية عملا فنيا؟[3]

وقد قدّم الناقد والباحث "جيرار جنيت" جوابا عن هذا السؤال، وهو يعدّ في الوقت نفسه اسهاما في تنميته مفهوم التناص من ذلك كتابه "مدخل لجامع النص" الصادر عام

1- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992، ص120.

2- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط، 2005، ص95.

3- المرجع نفسه، ص95.

1979م، وقد عدّ مصطلح جامع النص أو معمارية النص، أو النص الجامع، باختلاف الترجمات "موضوع الشعرية": ليس النص هو موضوع الشعرية بل جامع النص أو مجموع الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي إليها كل نص على حدة، ونذكر من بين هذه الأنواع: أصناف الخطابات وصيغ التعبير والأجناس الأدبية.[1]

ثم أصدر عام 1982م كتابه "أطراس" الذي أدخل فيه تعديلا جديدا وشاملا على آرائه السابقة،وتبنى فيه موضوعا جديدا للشعرية هو النصيّة المتعالية أو المتعاليات النصيّة، ويعرف تعالي النص قائلا: " لا يهمني النص حاليا إلا من حيث تعاليه النصيّ أي أن أعرف كل ما يجعله في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص، وهذا ما أطلق عليه التعالي النصي وأُضَمِّنَهُ التداخل النصي (التناص)، وأقصد بالتداخل النصي التواجد اللغوي سواء كان نسبيا أم كاملا أم ناقصا لنص في نص آخر، ويعتبر الاستشهاد الإيراد الواضح للنص مقدّم ومحدّد في آن واحد بين هلالين مزدوجين أوضح مثالا على هذا النوع من الوظائف"[2]

على هذا الأساس حدّد جيرار جنيت خمسة أنماط للمتعاليات النصية يتحوّل التناص إلى واحدة منها هي:[3]

1- التّناص

وهو يحمل مفهوم التناص كما حدّدته جوليا كريستيفا، إنه خاص عند جيرار جنيت بحضور نص في نص آخر، ويرى في الاستشهاد الإيراد الواضح لنص مقدّم ومحدّد في آن واحد (بين هلالين مزدوجين) أوضح مثال على هذا النوع.

1- جيرار جنيت، مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمان أيوب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1986م، ص10.

2- المرجع نفسه، ص10.

3- نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار بوقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2007م، ص20.

2- الميتانصيّة (النصيّة الواصفة، الميتانص، الواصف النصيّ)

وهي علاقة التفسير والتعليق التي تربط نصا بآخر يتحدّث عنه دون الاستشهاد به واستدعائه، بل يمكن أن يصل الأمر إلى حد عدم ذكره، أي بطريقة تلميحة صامتة، وهي في أسمى صورها العلاقة النقدية.

3- التعالق النصي (التعلق النصيّ، النصيّة المتفرعة، التحويل النصي، الملابسة النصية)

يكمن في العلاقة التي تربط النص "ب"كنص لاحق بالنص "أ" كنص سابق، وهي علاقة تحويل ومحاكاة، إذن هي علاقة بين نصين أولهما سابق والآخر لاحق، حيث يكتب اللاحق السابق بطريقة جديدة ومغايرة لا تخلو من انتاجية وابداعية.

4- معمارية النص (الشمولية النصية، النصية الجامعة)

وهي العلاقة الأكثر تجريدا وتضمنا دالة على انتماء تصنيفي لنص ما في طبقته النوعية، يعرّفه جنيت بأنّه: " مجموع الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي إليها كلّ نص على حدة "[1]

5- المناص (التوازي النصي، النصوص الموازية، المصاحبات النصية، ملحقات النص)

ويشير إلى العلاقة القائمة بين النص ومحيطه النصيّ، يشمل ذلك العلاقة مع العناوين الفرعية، التنبيه، المقدمة، الخاتمة، وكل ما يوضع من إشارات حول النص.

إن التمييز بين الأنماط الخمسة هو الذي مكّن الباحث جيرار جنيت من تطوير نظرية التناص وتوسيع أنماطها، بتمييز بعضها من بعض وإبراز نقاط تقاطعها وتداخلها وتشابكها، وهذا ما دفعه إلى توظيف مصطلح المتعاليات النصية، الذي يراه أوسع من التناص الذي لا يمثل إلا وحدة من وحدات جامع النص.[2]

1- جيرار جنيت، مدخل لجامع النص، ص86.

2- حميد الحمداني، القراءة وتوليد الدلالة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 2003م، ص43.

رولان بارت

يعدّ رولان بارت من النقاد الذين التفتوا بطرائقهم وتحاليلهم الخاصة إلى مصطلح التناص، فهو ينطلق من اعتقاد أن الأدب ليس موضوعا خارج الزمن ولا قيمة خارجية، بل هو مجموعة من الممارسات والقيم المشروطة بمجتمع معين، مشيرا إلى أن الكتابة الأدبية تنسخ الكتابة الأدبية السابقة عليها، فليست الممارسة الأدبية ممارسة تعبير وانعكاس، وإنما ممارسات محاكاة واستنساخ لا متناهي.[1]

وينطلق أيضا رولان بارت في توسيعه لمصطلح التناص من منجزات جوليا كريستيفا ليوسعها ويشرحها، فالنص يعيد توزيع اللغة، والتناصيّة قدر كلّ نص مهما كان جنسه " إن تبادل النصوص أشلاء نصوص، دارت أو تدور في فلك نص يعتبر مركزا، وفي النهاية تتّحد معه، هو واحدة من سبل ذلك التفكيك و الانبناء – كلَّ نص تناص–، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة، وبأشكال ليست عصيّة على الفهم بطريقة أو بأخرى، إذ نتعرف على نصوص الثقافة السالفة والحالية، فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة".[2]

ويضيف بارت بأن التناص مجال عام للصيغ المجهولة التي يندر معرفة أصلها، ولا يتمّ وفق طريقة متدرّجة معلومة ولا بمحاكاة إرادية، وإنما وفق طريقة متشعبة – صورةً تمنح النص وضع الانتاجية – وليس إعادة الانتاج.[3]

1- عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، افريقيا الشرق، د ط، 2007م، المغرب، ص22.

2- عز الدين المناصرة، ص143.

3- المرجع نفسه، ص143.

ويشرح بارت إيديولوجيم كريستيفا بأنه مفهوم يعدّ بتوضّيح النص في التناص وبالتذكير به في نصوص المجتمع والتاريخ[1]، إذن فالتناص عند بارت حتمية لا مناص منها إذ يقول: " النصمتداخل: النص هو بروست أو الجريدة اليومية أو شاشة التلفزيون، فالكتاب يصنع المعنى، والمعنى يصنع الحياة ".[2]

هكذا نجد أن بارت لم يضف جديدا على تناص كريستيفا وحوارية باختين، لكنه قام بالتوسيع والشرح لبعض ما قالته كريستيفا، وقام بتوسيع مفهوم انفتاح النص على الحياة والمجتمع.[3]

1- المرجع السابق، ص143.

2- - المرجع نفسه، ص143

3- - المرجع نفسه، ص143

التناص في النقد العربيّ

إذا ما تتبعنا مفهوم التناص ونشأته في النقد العربي نجده مصطلحا جديدا لظاهرة أدبية ونقدية قديمة، فالتأمل في طبيعة التأليفات العربية يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه، ولكن تحت مسميات أخرى وأشكال تقترب من المصطلح الحديث، حيث أوضح الدكتور محمد بنيس ذلك وبيّن أن الشعرية العربية القديمة فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، وضرب على ذلك مثلا بالمقدم الطلية التي تعكس شكلا لسلطة وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها، وللتداخل النصي بينها، فقد أدرك الشعراء منذ الجاهلية ضرورة تواصل الشاعر مع تراثه الشعري والاغتراف منه واقتفاء آثار السلف.[1]

وإن رصد هذا الأثر عند نقاد العرب القدامى اتخذ تسميات متعدّدة اندرجت فيما أسموه بباب " السرقات الأدبية " التي خصّصوها مجالا واسعا في الكثير من مؤلفاتهم، فالشاعر مهما كانت موهبته أو نبوغه الشعري، فإنه يحمل نفحات من نصوص غيره، ومن هذه النفحات ما هو واضح وجلي، ومنها ما يتطلب براعة النقاد العرب القدامى، قد اختلفوا في تشغيلهم لمصطلح السرقات بين الرفض أو الاستهجان والقبول، فابن رشيق يذهب إلى أن اتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركه كل مضى وسبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات[2].

1- إيمـــــــــان الشنينـــــــــي، التـــــــناص النشأة والمفهوم، جدارية محمود درويش أنموذجا، مجلة أفق الالكترونية،http://nasershehan.blogspot.com/الاثنين 2013/10/15م.

2- ينظر: أبو علي بن الحسن ابن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج2، د ط، 1981 م، ص181.

أما ابن الأثير فنجده أحيانا يقول: " ... ذلك من أحسن السرقات..."، وفي موضع آخر يقول: " ... وليس من السرقات الشعرية أقبح من هذه السرقة..."[1]

وتوجد بعض المواقف النقدية الأخرى لنقاد كانوا أكثر اعتدالا في تقديم تصوّراتهم حول هذه العلاقات بين النصوص وإخراجهم للسرقات من دائرة الاتهام، باستخدام مصطلحات أخرى كتوارد الخواطر، والاحتذاء والاقتباس، ومن هؤلاء النقاد عبد القاهر الجرجاني وأبو الهلال العسكري.[2]

وهذا يعني أن التناص حاضر في مستويات الحياة كافة ومتأصل في التراث الانساني ولا فكاك من، لأنه قانون طبيعي في الثقافات والحضارات الانسانية، وهذا ما أشار إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: " لولا أن الكلام يعاد لنفذ "[3]، فهو ضرورة من ضرورات الحضارة وتطورها.

لكن رغم هذا فإن اهتمام العرب القدامى بالعلاقات بين النصوص ،كان اهتماما قاصرا رغم تمكنهم من رصد بعض العلاقات التي تصب في نظرية التناص ،الاّ أن تلك البذور والارهاصات لم تجد من يستثمرها ويبلورها في نظرية متكاملة ، وهي لا تزال بحاجة الى قراءات جادة وعملية اختزالها واعادة انتاجها بصورة تكون فيها أكثر فعالية في الساحة النقدية العربية وأكثر ارتباطا بمفاهيم التناص الحديثة [4]

1- ينظر: ضياء الدين بن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، 1995م، ج2، ص368.

2- المرجع نفسه، ص368.

3- ينظر: أبو علي بن الحسن ابن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1 ص91.

4- ليديا عبد الله، التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005م، ص20.

يمكن القول أن مصطلح التناص كان الأشهر والأكثر استعمالا في النقد العربي من بين جميع المصطلحات العربية التي ترجمت للمصطلح، أمّا الدوال العربية الأخرى التي جاءت مرادفة للتناص فهي : التعالق النصي الذي استنبطه محمد مفتاح من كريستيفا وميشيل آريفييه وريفاتير، وهو يعني عنده: " تعالق، الدخول في علاقة نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة "[1]، والتعالق يشير إلى الارتباط وهذا بدوره سيستدعي التفاعل بين النصوص،ولذلك ذهب سعيد يقطين الى استخدام مصطلح التفاعل النّصي مرادفا للتناص وفضّله على غيره من الدول العربية التي ترجمت له مثل :المتعالية النصية عند جيرار جنيت ويعلل سعيد يقطين تفضيله لمصطلح التفاعل النصي بقوله " فيما أن النّص ينتج ضمن بنية نصية سابقة فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلا أو تضمنا أو خرقا وبمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات "[2]

وقد استعمل العرب خليطا من المصطلحات منها:[3]

الامتصاص، التحويل، الاجترار، التلاص، الحوار، التذكر، المثاقفة، دراسة المصادر، التمطيط، الاحالة، المرجعية، التشاكل، التباين، التفاعل، التضمين، الانتحال التذويب، الاستعادة، المحاكاة، الاشتقاق، المقارنة، الاختطاف، التوازي، التملّك، النمط التواصل، التحوير، الترصيع، التشويش، القلب، المبالغة، الخطية، التكثيف، الإحلال، الإزاحة، التوليد، التورية، التخارج، الإدماج، التداخـــــــــل التعالق...الخ، وكل هذه المصطلحات كانت محاولة من النقاد العرب لتليين مفاهيم التناص والتلاص التي تتداخل مع الموروث النقدي.

1- ياسر رضوان، دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة، ص30.

2- المرجع نفسه، ص30.

3- عز الدين المناصرة، التناص المقارن، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، ص131.

وقد تم تغيير الفكرة الشائعة عن "السرقات = التناص"في المروث النقدي العربي القديم التي تقول أن العرب استخدموا منهجية السرقات للدلالة على الحد الأدنى، وأنهم بالتالي كانوا بعيدين عن مفهوم التناص، فالسرقات الأدبية "التلاص "في الموروث النقدي كانت تعني أشكال التناص الجوهرية بالمعنى الأوروبي.[1]

فمصطلح التناص يعدّ من المصطلحات النقدية المعاصرة التي تنتمى الى مرحلة ما بعد البنيوية وقد شغل هذا المصطلح حيزا كبيرا من اهتمامات نقاد الأدب العربي المعاصرين على اختلاف مناهجهم ورؤاهم ، فاتشتغل به السميوطيقي والسميولوجي والأسلوبي والتداولي وغيرهم[2]،كما اختلفت تصوراتهم لهذا المصطلح النقدي الحديث والمعاصر في ضبطه.

وسنحاول فيما سيأتي عرض أهم الجهود والآراء التي ساهمت في اثراء النقد العربي الحديث حول هذا المصطلح النقدي بالتركيز على أبرز أعلامه في نقدنا العربي.

1- المرجع السابق، ص178.

2- المرجع نفسه، ص179.

محمد مفتاح :استراتيجية التناص

يتناول محمد مفتاح في كتابه الرائد "تحليل الخطاب الشعري ،استراتيجية التناص" مفاهيم التناص وقد صدرت طبعته الأولى عام 1985، وبتقدير عز الدين مناصرة فإنّ هذا الكتاب هو أول كتاب يعالج ،التناص بتوسع واضح لأن الكتاب كله يعالج تجليات المصطلح والمفهوم مستفيدا من كتابات الحقبة البنيوية وما بعدها ،باستقلالية نقّدية وفهم عميق منطلقا من اللسانيات والسميائيات.[1]

وقد خصص فصلا خاصا يتحدث فيه عن مفهوم التناص ،فالتناص بالنسبة له،هو مدونة حدث كلامي ذي وضائف متعددة[2]،وهو يستخرج التناص من كتابات كريستيفا آريفية، لورانت جيني، ريفاتير حيث يقول بأن التناص هو تعالق، الدخول في علاقة نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة.[3]

فمحمد مفتاح حاول في دراسته التوفيق بين عدة مصطلحات ومفاهيم غربية للمصطلح مستخلصا أنّ التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) ويرى أنّ التناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين اذا يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعته معرفته وقدرته على الترجيح مع الاعتماد على مؤشرات في النص تجعله يكشف عن نفسه ويوجّه القارئ للإمساك به ويشير أيضا الى الأثار الوسيطة بين الثقافة الغربية وهي الدراسات الحديثة.[4]

1- المرجع السابق، ص159.

2- المرجع نفسه، ص159.

3- المرجع نفسه، ص159.

4- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ص131.

1/ التوليد والتناسل:ذلك أننا نجد أثرا أدبيا أو غيره ،يتولد يعضه من بعض ونقلب الذوات المعنوية الواحدة بطرق متعددة الى صور مختلفة .

2/ التواتر:اعادة نماذج وتكرارها لارتباطها بماض ايجابي مشتمل على تبجيل ما يستخدم محمد مفتاح مصطلحا مرادفا للتناص وان لم ينص عليه وهذا المصطلح هو الحوارية التي تكشف عمّس النصوص من التحاور والتجادل الذي يشير الى علاقات بين النصوص التي تنهل في غالب الأحيان من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال السابقين وأشعارهم، وقد تكون من الثقافات الشعبية السائدة وكلها يتم استقطابها جميعا داخل النص المحدد، وعلى ذلك يصح القول "إن كل نص مركزي يحتوي بالضرورة على نصوص أخرى تختلف نسب وجودها "[1]

وفي إشارته الى التداخل الكبير بين مصطلحات الأدب المقارن ،المثاقفة، دراسة المصادر،السرقات ،اضاف الإشارة الى بعض المفاهيم الأساسية وهي:[2]

1 المعارضة:وتعني أن عملا أدبيا أو فنيا بحاكي فيه مؤلفة الكيفية والأسلوب ليقتدي بهما أو للسخرية منهما والمعارضة الساخرة أي التقليد الهزلي أو قلب الوظيفة، بحيث يصير الخطاب الجدي هزليا،والهزلي جديا والمدح ذما والذم مدحا.

2 السرقة: وتعني أن النقل والاقتراض والمحاكاة..."مع اخفاء المسروق" وهذه المفاهيم مقتبسة من الثقافة الغربية،ويقول محمد مفتاح بأننا نجد عند ....ما يقابلها وهي:[3]

1- ياسر رضوان، دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة، ص31.

2- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص121، 122.

3- المرجع نفسه، ص 122.

المعارضة: التي تدل لغويا على المحاكاة والمحاذاة في السير، كذلك محاكاة أي صنع وأي فعل[1]، حيث اطلق النقاد العرب على المحاكاة الشعرية اسم المعارضة .

المناقضة: غير أنّ المعارضة لغويا واصطلاحيا تعني أحيانا المخالفة وأطلق عليها النقيضة.

السرقة: وهي أنواع غامضة وفاضحة حسب ابن رشيق ويتضح مما سبق يقول محمد مفتاح بأنّ هناك نوعين من التناص هما:[2]

1/ المحاكاة الساخرة "النقيضة"

2/ المحاكاة المقتدية "المعارضة "وهي تعتبر الركيزة الأساسية للتناص.

ويختم محمد مفتاح بخلاصه يقول فيها بأن التناص محكوم بالتطور التاريخي فالتناص هو وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من خطاب لغوي بدونه.[3]

1- المرجع السابق، ص122.

2- المرجع نفسه ص122.

3- عز الدين المناصرة، التناص المقارن، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، ص161.

محمد بنيس :

يعدّ محمد بنيس من النقاد المعاصرين الذين اهتموا بموضوع التناص، فنجد محمد بنيس تحدث بتوسع في هذا المجال ففي كتابيه "ظاهرة للشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية" و"حداثه السؤال"، استبدل بعض مصطلحات التناص بمصطلحات جديدة هي :النّص الغائب الذي خصص له فصل في كتابه "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب "وأيضا مصطلح هجرة النصوص ومصطلح التداخل النصي، الذي يحدث نتيجة تداخل نص حاضر مع نصوص غائبة.[1]

والنص الغائب عنده هو عبارة عن دليل لغوي معقد تتداخل فيه عدة نصوص، فلا نص يخرج عن النصوص الأخرى، أو لا يمكن أن ينفصل عن كوكبها.[2]

ويقرر محمد بنيس بأنه سوف يستعمل لدى قراءته للنّص الغائب في النصوص الشعرية للشعراء المغاربة معايير ثلاثة تتخذ صيغة قوانين وهي:[3]

1 /**الاجترار:** تعامل الشعراء في عصور الانحطاط مع النّص الغائب بوعي سكوني وأصبح النص الغائب نموذجا جامدا تضمحل حيويته مع كل إعادة كتابة له بوعي سكوني.

2 /**الامتصاص:** مرحلة أعلى من قراءة النّص الغائب ، وهو القانون الذي ينطلق أساسا من إقرار بأهمية النّص وقداسته، فيتعامل وإياه كحركة وتحول لا ينفيان الأصل، بل يساهمان في استمراره كجوهر قابل للتجديد، ومعنى هذا أنّ الامتصاص لا يجمد النص

1- جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، ص43.

2- محمد بنيس، حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، دار التنوير، المغرب، ط2، 1988م، ص85.

3- عز الدين المناصرة، التناص المقارن، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، ص159.

الغائب ولا ينقده، فهو يعيد صوغه فقط وفق متطلبات تاريخية، لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتبت فيها.

3/ الحوار: أعلى مرحلة من قراءة النّص الغائب، إذ يعتمد النقد المؤسس على أرضية عملية صلبة تحطم مظاهر الاستلاب مهما كان نوعه وحجمه وشكله، فلا مجال لتقديس النصوص الغائبة في الحوار، وبذلك يكون الحوار قراءة نقدية علمية

وبعد أن استعمل محمد بنيس مفهوم النص الغائب انتقل الى التجريب والإهتداء لمفهوم جديد هو "هجرة النصوص" الذي شطره على شطرين: نص مهاجر ونص مهاجر إليه، فالنّص حسب نظره ليس فاعلا خارج اعادة انتاج ذاته ومنتوجيته، وهذه الفاعلية تتوهج وتبرز من خلال فعل القراءة، لأن النص حين يفقد قارئَه يعرض للإلغاء، ولكي يكون النص فاعلا ومنتجا لذاته باستمرار، فإن عليه أن يهاجر وهذه الهجرة لا تكون لأي نص أدبي، وإنما للنص الذي يحكمه قانون علم هذه الهجرة.[1]

وقد حدد شروط الهجرة للنّص، وتتخلص فيما يلي:[2]

1- إذا كان النص يجيب على سؤال مجال معرفي أو مجالات معرفية مؤطرة وغير مؤطرة زمانا ومكانا.

2- إذا كان النص يجيب على سؤال فئة اجتماعية معينة في فترة من الفترات التاريخية وفي مكان محدد أو أمكنة متعددة.

3- إذا كان النص يجيب على سؤال جميع هذه المجالات أو بعضها دون الآخر.

1- محمد بنيس، حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، ص96.

2- المرجع نفسه، ص97.

ومن خلال تتبع بنيس لهجرة النصوص، حيث وجود أي نصوص خارج النصوص الأخرى، اعتبر هجرة النص من الشروط الأساسية التي تعيد انتاجه وإخراجه من جديد، فالنصوص عدّت عنده دليلا لغويا معقدا وشبكة من النصوص اللانهائية، غير أن النصوص الأخرى المستفادة في النص، أي النصوص الغائبة التي يتم استحضارها، فإنها تتبع مسار التبدل والتحول، وهذا حسب درجة وعي الكاتب بعملية الكتابة ومستوى تأمل الكتابة ذاتها.[1]

إذن فمحمد بنيس هو صاحب مصطلح النص الغائب وهو يشرحه وفق كريستيفا وتودوروف وبارت بما يعادل مفهوم النص تقريبا، ثم استعمل لاحقا مصطلح هجرة النص في كتابه " حداثة السؤال 1988 "وهو مصطلح ورد في كتابات الحقبة البنيوية وما بعدها، ثم استخدم مصطلح " التداخل النصي 1989م "في كتابه الشعر العربي الحديث.[2]

1- المرجع السابق، ص85.

2- عز الدين المناصرة، التناص المقارن، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، ص143.

سعيد يقطين

استعمل الناقد " سعيد يقطين " مصطلح: " التفاعل النصي " في كتابه: " انفتاح النص الروائي " كمرادف لمصطلح التناص، والتناص في رأيه ليس إلا واحدا من أنواع التفاعل النصي[1]، لذلك فالتفاعل النصي عنده أعم من التناص، فالنص ينتج ضمن بنية نصية سابقة، فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلا وتضمينا أو خرقا، وبمختلف الأشكال التي تتمّ بها هذه التفاعلات، والنص عند سعيد يقطين ينقسم إلى بنيات نصية منها: بنية النص وهو الذي يتصل بعالم النص، لغة وشخصيات وأحداثا، وقسم آخر نسميه بنية المتفاعل النصي كالمتفاعلات النصية وهي البنيات النصية أيّا كان نوعها والتي تستوعبها بنية النص وتصبح جزء منها ضمن عملية التفاعل النصي.[2]

إذن فالباحث سعيد يقطين يستعمل مصطلح التفاعل النصي مرادفا لمصطلح التناص أو المتعاليات النصية، كما استعملها جيرار جنيت بالأخص، لأن التناص في التحديد الذي ننطلق فيه من جنيت ليس إلا واحدا من انواع التفاعل النص... ونؤثره على المتعاليات النصية أو عبر النصية، كما يستعملها جنيت لأنها وإن كانت عامة فإن معنى التعالي قد يوحي ببعض الدلالات التي لا تضمنها لمعنى التفاعل النصي الذي نراه أعمق في حمل المعنى المراد والإيحاء به بشكل سري وسليم كما يرى سعيد.[3]

1- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي" النص والسياق"، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2001م، ص34.

2- المرجع نفسه، ص34.

3- المرجع نفسه، ص92.

آليات التناص

يجمع جلّ الدارسين في حقول النقد والأدب على صعوبة تحديد آليات الدراسات التناصية، ويقرون بأن لكل نص آلياته التناصية الخاصة التي تستنتج بعد القراءة الاستكثافية والتأويلية الجادة، وقد ساعد تطور الدراسات اللسانية في الوصول إلى بعض الآليات، ومن بين الذين توصلوا إلى نتائج هامة في آليات التناص الباحث والمفكر محمد مفتاح، وهي عنده كالآتي: [1]

أ- **آلية التمطيط:** تحصل بأشكال مختلفة أهمها:

1- الجناس بالقلب والتصحف" الكلمة، المحور: " فالقلب مثل "قول، لوف" والتصحيف مثل " نحل، نخل " أو "عسل، لسع"، أما الكلمة المحور فتكون أصواتها مشتقة طوال النص مكونة تراكما يثير اهتمام القارئ الحصيف، وقد تكون غائبة تماما من النص لكنه يبني عليها النص، وهذه الآلية ظنية وتخمينية تحتاج إلى انتباه القارئ.

2- الشرح: أساس كل خطاب، فالشاعر يلجأ إلى وسائل متعددة تنتمي كلها إلى هذا المفهوم، فيجعل البيت الأول محورا ثم يبني عليه المقطوعة أو القصيدة، أو قد تستعير قولا معروفا ليجعله في الأول أو في الوسط أو في الأخير ثم يمططه في صيغ مختلفة.

3- الاستعارة: تقوم بدور جوهري في كل خطاب ولاسيما الشعر بما تبثه في الجمادات من حياة وتشخيص، بحيث يؤدي إلى احتلال التعبير الاستعادي حيزا مكانيا و زمانيا طويلا.

4- التكرار: ويكون على مستوى الأصوات والكلمات والصيغ متجليا في التراكم أو التباين.

5- الشكل الدرامي: إن جوهر القصيدة الصراعي يولد توترات عديدة بين عناصر بنية القصيدة، مما يؤدي إلى نمو القصيدة فضائيا و زمانيا.

1- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ص125، 128.

6- أيقونة الكتابة: إن الآليات التمطيطية السابقة تؤدي إلى ما يمكن تسميته بأيقونة الكتابة " علاقة المشابهة مع حوافز العالم الخارجي "، وبالتالي فإن تجاور الكلمات المتشابهة أو تباعدها وارتباط المقولات النحوية ببعضها واتساع الفضاء الذي تحتله أشياء لها دلالاتها في الخطاب.

ب- الإيجـــــــاز: من الخطأ التركيز على وجه واحد وقصر عملية التناص على آلية التمطيط فقط، فقد تكون عملية إيجاز أيضا، وهي عملية تعتمد على التركيز والاختصار وتدعى الإحالة المحضة، وهي تحتاج إلى شرح وتوضيح ليدركها المتلقي العادي.

وهذه الآليات التي اجتهد الباحث محمد مفتاح في شرحها وتوظيفها في قصيدة ابن عبدون تظل مجرد محاولة جادة من مجموع المحاولات التي قام الباحثون بها في حقل الدراسات التناصية.

وكما ذكرنا فإن هذه الآليات تبقى صعبة التحديد وتتسم باللانهائية وعدم الثبات، والنص الأدبي في تنوعه هو الكفيل بإبراز هذه الآليات، كما أن التأويل مسؤول عن اكتشافها.

مصـــــادر التنـــــاص

للتناص مصادر متنوعة ومختلفة، ويمكن أن نذكرها حسب ما خلص إليه الباحث شربل داغر، وهي عنده ثلاث مصادر كالآتي:[1]

1- المصادر الضرورية

وتسمى ضرورية لأن التأثر بها يكون طبيعيا تلقائيا مفروضا ومختارا في آن واحد، وهو ما نجده في كتابات بعض الكتاب العرب في صيغة الذاكر، أي الموروث العام

1- داغر شربل ، التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري في مجلة فصول، العدد الأول، صيف 1997م، القاهرة، ص146.

الشخصي، ويتخذ في العديد من الأحوال سبيلا اختياريا كجنوح الشاعر إلى التأثر الواعي بنتاج شاعر آخر، أو أنه يتخذ سبيلا وراثيا كتقيّد الشاعر غير الواعي بحدود ثقافة معينة، كما يتضح ذلك في الوقفة الطللية في القصيدة العربية.

2- المصادر اللازمة

إن الشاعر ليس إلا معيدا لإنتاج السابق في حدود من الحرية، سواء أكان ذلك الانتاج لنفسه أو لغيره.

3- المصادر الطوعية

وهي تشير إلى ما يطلبه الشاعر عمدا في نصوص مزامنة أو سابقة في ثقافته أو خارجها، وهي أساسية في الشعر الحديث، بل نذهب إلى القول أننا لا نستطيع دراسة هذا الشعر من دون الوقوف عندها وهي مصادر متعدّدة تندرج في مصادر عربية وأجنبية في الوقت نفسه.[1]

1- المرجع السابق، ص146.

المبحث الثالث: التناص الديني في الرواية العربية وجماليته

كشفت معظم الروايات العربية التي ظهرت منذ الستينات عن قدرة كبيرة على احتواء النصوص التراثية وتحويلها بوعي فني وفكري لإنتاج نص جديد ممزوج بالماضي لتحقيق غايات جمالية ودلالية [1]، وهذا الوعي المتنامي للتراث العربي ظهر بعد هزيمة 1967م التي طرحت اسئلة حضارية متكررة ومتوالية عن أسباب الانهزام ودواعي التأخر ثم البحث في الأسباب وإيجاد الحلول.

ومن هنا اختارت الرواية العربية العودة إلى ما يحقّق لها أصالتها عن طريق استدعاء الموروث وتوظيفه في النص للتعبير عن الواقع المعاش " إن أيّ تفاعل مع التراث لا يمكن أن يكون منتجا، إلا إذا كان تفاعلا إيجابيا مع واقعه بمعناه العام، أي الواقع الذاتي الذي لا يزال يتفاعل مع التراث باعتباره امتدادا ثقافيا وروحيا، ومع الواقع العام ، أي العصر الذي تنتج فيه متفاعلات نصيّة جديدة ومستمرة"[2]

وقد سعت الرواية العربي منذ نشأتها إلى تأكيد حضورها، ولعل هذا ما يفسر توجه بعض المحاولات الروائية الأولى خلال القرن التاسع عشر إلى الاستلهام من القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذا ما نسميه بالتناص الديني، وأيضا من التراث العربي والتاريخ بصفة عامة شكلا ومضمونا، إذ توزعت الاستفادة بالأخذ من الآيات الكريمة مثل

1- المرجع السابق،ص 150.

2- المرجع نفسه، ص151.

قصص الأنبياء، والأحاديث النبوية الشريفة من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وأيضا محاكاة شكل النصوص القديمة واسلوبها مثل المقامات والرحلات وتوظيف المادة التراثية.[1]

وتتفتح الرواية العربية على خطابات متعددة ونصوص كثيرة ترتادها وتؤمها فتتداخل فيها وتتمازج معها مشكلة بناء جديدا مستحدثا، ولا ريب أن الكتابة الروائية الحديثة في حاجة من حيث المنطق الذي بنيت عليه إلى هذه التفاعلات والتداخلات المتنوعة، خاصة مع القرآن الكريم باعتباره أقوى دليل وحجة يدعم بها الروائي فكرته[2] وأيضا إضافة متناصات أخرى مثل الكتابة التاريخية والأسطورية والصوفية والتراثية ...الخ

فلا يتحقق كيان العالم الروائي إلا بالخروج عن وحدانية الخطاب ونمط الكتابة المنفردة إلى جمالية التعدد والتنوع ولذة الامتزاج والتداخل في لحظة إبداعية جمالية قادرة على مزج هذا التعداد من المتناصات في وحدة الرواية، بالرغم من أن هذه النصوص متباعدة ومختلفة من حيث مستوى الزمن واللغة فإن من شأن المسافات أن تنهض بوظيفة الاغراء بالنسبة للقارئ الذي يكتشف في هذا العمل الروائي دلالات جديدة ومتنوعة

1- محمد رياض وتّار، توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص207.

2- المرجع نفسه، ص207.

وهادفة من خلال هذا المزج الجميل عن طريق التناص بين نصوص دينية وتاريخية وأسطورية وتراثية.[1]

هذا التداخل بين النصوص يعمل على اكتساب الأجناس الأدبية خصائص شكلية وفنية جديدة، ويعمل أيضا على كسر مألوفية النص الموروث، وهذا ما نجده خاصة في الرواية العربية باعتبارها أولى من غيرها بممارسة أوسع للتناص.[2]

وليكون استلهام الموروث فعلا ابداعيا استراتيجيا عمد الروائي إلى استحداث آليات قراءة النص التراثي وتوظيفه ليعبر عن الواقع المعاش وفق منظور أدبي ورؤية إيديولوجية واجتماعية وتاريخية وعقائدية، ... فتح خطاب روائي متعلق بنص تراثي دلاليا وفنيا وجماليا.[3]

ومن هذه الزاوية وظفت العديد من الروايات النص الديني خاصة بمصادره القرآنية والتوراتية والانجيلية، بالإضافة إلى توظيف الحديث النبوي الشريف والفكر الديني أو الصوفي، وظهر لهذا التوظيف مستويات عديدة من بينها توظيف البنية الفنية

1- ابراهيم عبد الفتاح رمضان، مقال بمجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الاسلامية والعربية، العدد الخامس، نوفمبر 2013م، ص45.

2- المرجع السابق، ص45.

3- منصوري نجوى، التعلّق النصي بين الرواية العربية والخطاب الديني النفير والقيامة أنموذجا، مجلة كلية الآداب واللغات، الرباط، ص86.

واستحضار الشخصيات الدينية وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية، وكذا التنويع الانتقائي للنص داخل الخطاب الروائي.[1]

ولعل هذا التوظيف يتكأ على خلفية سيطرت على المبدع ذاته في محاولة الاقتراب من النص الديني أوجدتها بعض الأسباب ذكرتها الأستاذة منصوري نجوى بمقال نذكر منها:[2]

1- الخطاب الديني جزء من التراث الذي حملته ثقافة المجتمع العربي، لذلك يكون استدعاء التراث زاوية مهمة يعالج من خلالها الروائي قضايا مجتمعه ومشاكله.

2- الخطاب الديني تراث سردي قصصي، فهو معين منفتح يجعل الرواية العربية محافظة على أصالتها من جهة ومنفتحة على الانسانية من جهة أخرى.

وظيفة التناص الديني في الرواية العربية وجماليته

إن الوظيفة الأساسية للتناص تتمثل في لجوء الكاتب الى استحضار النصوص السابقة عليه، وخاصة النصوص الدينية وادماجها في نصوصه، وتوظيف هذا الموروث الثرى واعادة صياغته بطريقة خاصة لا يخل فيها بهذه النصوص المقدسة، وذلك لإحياء وانهاء الوعي به، ويكون هذا الاحياء بالترميز والإشارة إلى الأحداث والشخصيات المتضمنة في النصوص الدينية ومن بين أبرز وظائف التناص الديني تذكر:[3]

1- المرجع نفسه، ص83.

2- المرجع السابق، ص 83، 84.

3- المرجع نفسه، ص 84.

أ- الوظيفة الجمالية

تعتبر عملية التناص مع النصوص الدينيّة والتراثية من الوسائل الفنية التي يوظفها الروائي في نصه، ليبعث ذلك التراث الديني صورة جديدة واغناء الروائي بمختلف الإشارات والرموز الدينية الموحية التي تحدث في نفس القارئ الإحساس بجمالية هذا التوظيف وجمالية الكتابة، والتي تسيطر عليها معرفة الخلفية والدينية التي يستند عليها الكاتب في انتاج نص جديد غني بفنيات جمالية، ترفع مستوى اللغة لأنها مستوحاة من لغة الدين والقرآن "كلام الله عز وجل وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم"، وهي نصوص غايتها الفصاحة والبلاغة، وهذا سيخرج لغة الكاتب من المألوف إلى شاعرية اللغة، بالإضافة إلى جمالية المعاني التي يستنبطها الكاتب من النصوص الدينية بروعتها وتفوقها على جميع المعاني العادية، وتبدو مظاهرها فيما يلي:[1]

1/ الإحالـــة

وهي الإطار المرجعي الذي يؤلف مجموع الخبرات والمعارف التي تعمل على تشكيل النّص وفعل التلقي وهذا المرجع يكون تاريخيا، دينيا، إنسانيا، ثقافيا وللنص امتداده العتيق داخل السياقات الخارجية.[2]

2/ الاختصار

وهو من أهم وظائف التناص فالرواية قد تلخص حين تسرد الأحداث الماضية، خاصة الأحداث الدينية المتعلقة بالرسل وقصصهم، فالروائي يذكر أحداثا أو نماذجا بشرية أو حضارات أو نصوص، وهو بذلك يظهر ويضمر، يذكر ويحذف ويلخص، حيث لا

1- جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، ص159.

2- المرجع نفسه، ص159.

يقوم بتوظيفها كما هي ذلك أنه بحاجة الى توظيف المعنى من هذه الأحداث والشخصيات لأخذا لعبرة.

3/ استخلاص العبرة.

ويقصد بها أن الأديب يحاول الاستفادة من تجارب دينية سابقة، ونقصد بالعبرة استخلاص المعنى المراد الوصول إليه من خلال سرد هذه الأحداث الدينية.

4/ انتاج الدلالة الجديدة

يقوم التناص الديني بوظيفة انتاج دلالات وايحاءات جديدة، لأنه أساس العملية الإبداعية، فإنتاج نص جديد يقوم على محاورة النص الغائب وإدماجه مع النص الجديد للوصول إلى دلالة جديدة تحمل كثافة وجدانية تجعل النص الحاضر منفتحا على امتداد زاخر بالإيحاء، وبالتالي تنتج الدلالة الجديدة للنص الحاضر.[1]

ب- الوظيفة التعبيرية

يقوم التناص باعتباره أساس الإبداعية بوظيفة تعبيرية،فيظل النص مفتوحا على بقية النصوص الأخرى،وهذا يجعل النص في اتصال مع عدة ملفوظات وأصوات متداخلة عن طريق الكلام في إطار اجتماعي يستند عليه النص،وهنا تظهر وظيفة الروائي التي تكمن في استقطاب تلك المعارف وتوظيفها ليعبر عن فكرته، سواء كانت بالسلب أو بالإيجاب، وبهذا تتجلى لنا صورة النص القديم في قالب جديد يعبر بواسطتها عن حيويته وسيرورته بطريقة جديدة.

1- المرجع السابق، ص161.

ومن هنا يمكن لنا أن نستنتج أن الوظيفة تعد من الوظائف الفعالة للتناص بحيث يقوم الروائي باستحضار كل ما تختزله الذات، وذلك من أجل إثراء الموضوع واعطائه دلالات جديدة وايحاءات، وهذا ما يسمى بالمعنى الإيحائي، ويدخل في هذا الإطار الوظيفة الجمالية.[1]

المبحث الخامس: التناص مع القرآن الكريم

لقد أحدث القرآن كنص مقدس بفضل فصاحته وبلاغته التي أعجزت بلغاء العرب ثورة فنية في معظم إنتاج العرب الأدبي شعرا و نثرا، وقد سعى إليه الروائي في تناصه لترقية أبعاده اللغوية والفكرية، لأنه العروة الوثقى التي نتمسّك بها، ولأن القرآن الكريم مصدر إلهام للأديب، فهو يتزود من لغته وينهل من منابعه وأساليبه المختلفة والمتنوعة، حيث تستمد الذات المبدعة شاعريتها من النص القرآني.[2]

القرآن مقوم أساسي من مقومات ثقافة الشاعر المسلم، لذلك تراه يتناص معه لأن القرآن الكريم من أهم الوسائل المنتجة للدلالات، فهو معين لا ينضب، بما يحتويه من قصص وعبر وأحداث، كيف لا وهو كلام الله المعجز، حيث نرى الكثير من الشعراء يقتبسون من مفرداته ومعانيه و آياته للتعبير عما يشعرون به اتجاه أحداث وقضايا العصور التي يعيشون فيها.[3]

1-المرجع السابق،ص161، 162.

2- محمد بن عمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، المدارس، المغرب، ط1، 2001 م، ص156.

3- محمد حاتم عبد الحميد المبحوح، التناص في ديوان " لأجل غزة "، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، د ط، 2015م، ص74.

والنص القرآني بقصصه ومعانيه ولغته يعدّ أكثر المصادر توظيفا وأوسعها تأثيرا في المضامين الشعرية قديما وحديثا، ولعل وراء هذا الاهتمام بتوظيف النص القرآني ما يمثله القرآن الكريم من خصوبة وعطاء متجددين للفكر والشعور، فضلا عن تعلق ثقافة الشعراء به تأثرا وفهما واقتباسا، إلى جانب اشتراك رموزه بينهم وبين المتلقين، وماله من مكانه في قلب الأديب والمتلقي على حد سواء، فهو قاعدة صلبة يتكأ عليها الشاعر في إيصال شعوره للمتلقي.[1]

ونذكر من أهم الكتب التي صدرت حديثا وتناولت العلاقة بين النصوص الأدبية والنص القرآني كتاب للباحث الدكتور "ياسر عبد الحسيب رضوان" تحت عنوان:" التناص القرآني" "دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة"، ويعد هذا الكتاب من الكتب المتعددة التي تناولت التناص القرآني ، وتنوعت مناهجها الإجرائية من بلاغية وفنية وجمالية ولغوية.[2]

ولقد عمد الباحث إلى دراسة العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة من خلال اللسانيات النصية وعلم لغة النص، هذا المنهج الباحث عن نصية النص، تلك التي يرى تحققها من خلال اشتمال النص على سبعة معايير تحقق له نصيته وهي: السبك، الترابط النحوي، والحبك أو التلاحم الدلالي، والقصدية والقبول، الإخبارية والمقامية، ثم التناص وهو المعيار الذي أدار الباحث كتابه حوله ليكشف من خلاله عن العلاقة بين الآيات الكريمة.[3]

1- عزة محمد جدوع، مجلة فكر وإبداع، العدد 09، الكويت، د ط، 1952م، ص127، 128.

2- ياسر رضوان، التناص القرآني " دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة "، ص24، 25.

3- المرجع نفسه، ص26.

التناص مع السنة النبوية :الحديث الشريف

تعد السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فالأحاديث النبوية الصحيحة غاية في البلاغة والفصاحة، فقد أوتي الرسول صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، وهذا ما أدى بالكتاب للارتكاز في تناصاتهم على ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث نبوية شريفة جاءت شارحة ومفسرة لآيات القرآن الكريم وحاملة لتعاليم الإسلام ومكارم الأخلاق، فالروائي يتناص مع النصوص الدينية كوسيلة تحليل للمرجعيات الدينية لتلك النصوص لتأخذ أبعادا سياسية أو دينية أو إيديولوجية مرتبطة بالواقع الاجتماعي أو التخييلي الذي تطرحه الرواية، حيث يستوجب على الروائي الذي ينهل من الحديث الشريف أن يكون مستوعبا للمضامين والدلالات النبوية. (1)

ينبغي إضاءة الحاضر بالماضي الممتلئ بالمخزون الثري بالحديث الشريف الذي يمثل أرقى مستوى من ناحية الأسلوب بعد القرآن الكريم، لاعطاء الحرية للتأمل الجمالي والكتابة فالتركيبات اللغوية لمضامينه تسهم في ترقية الأبعاد اللغوية للعمل الروائي، والتناص مع السنة النبوية أو الحديث الشريف من أنجح الوسائل في تبليغ رسالة ما وذلك لخاصية جوهرية فيه وهي أنها مما يتزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلاّ اذا كان دينيا[2].

1- صلاح فضل، انتاج الدلالة الادبية، هيئة قصور الثقافة ، القاهرة،دط، 1993، ص41

2- المرجع نفسه ، 55ص

التناص مع التوراة

التوراة هي الكتاب المنزل على سيدنا موسى عليه السلام وعند "أهل الكتاب" أسفار موسى الخمسة والعهد القديم عند النصاري[1] ويطلقها اليهود على خمسة أسفار يقال إن موسى كتبها وهي : التكوين والخروج والعدد والتثنية.[2]

يشير السيد قطب إلى ضياع التوراة الأصلية – توراة موسى – قائلا: "فالتوراة التي أنزلها الله على موسى قد حرقت بنسخها الأصلية على يد البابليين عند سبي اليهود ولم تعد كتابتها إلا بعد قرون عديدة قبيل ميلاد المسيح بنحو خمسة قرون، وقد كتبها عزرا " وقد يكون هو عزيزا " وجمع فيها بقايا من التوراة، أما سائرها فهو مجرد تأليف. وقد أكد محمد رشيق العلموني ما ذهب إليه السيد قطب[3]، لكن هذا لا يعني أنّ فقدان التوراة الأصلية أدى الى ضياع كل ما فيها من أحكام وشرائع فذلك لا يتّفق مع ما ورد في القرآن الكريم "سورة المائدة الآية 13" في قوله تعالى(وَنَسُوْا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوْا بِهِ) .

والراجح أن ما في أيدي اليهود والنصارى اليوم من التوراة والأناجيل المتعددة والأسفار والإصحاحات ليست هي عين التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ولا عين الإنجيل المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام، وذلك لانقطاع أسانيدها واحتوائها على كثير من التحريف والتبديل و المغالطات والاختلاف، واختلاق أهلها عليها واضطرابهم فيها، وأن ما كان منها صحيحا فهو منسوخ بالإسلام، وما عداه فهو محرف

1- ينظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص93.

2- إخلاص فخري عمارة، استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل، دار الأمين، الجيزة، مصر، ط1، 1997م، ص18.

3- ينظر: رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم الحكيم الشهير بتفسير المنار، ص157.

ومبدل فهي دائرة بين النسخ والتحريف، والتناص مع التوراة عند العرب لا تتعدى في الغالب الأفكار والمعاصي الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية.[1]

التناص مع الإنجيل

الإنجيل كتاب الله المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام، وهي كلمة يونانية معناها البشارة وجمعها أناجيل[2]، وقد أطلقها النصارى علما على أربعة كتب تعرف بالإنجيل ومضافا إليها كتاب أعمال الرسل ورسائل بطرس وبولس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا، فمن المعروف أن الإنجيل الأصلي الذي أوحي إلى سيدنا عيسى عليه السلام كان مجهولا للعامة وضاع بموت المسيح وحواريه، أما يعرف بالعهد الجديد أو الإنجيل فقد كتبت بعد المسيح بأربعمائة عام. [3]

أما كتب النصارى فلم تعرف ولم تشتهر إلا في القرن الرابع للمسيح، لأن أتباع المسيح كانوا مضطهدين بين اليهود والرومان، وهذه الكتب أو الأناجيل لا تحتوي إلا ما حفظته ذاكرة تلاميذه المسيح بعد نحو قرن من وفاة المسيح عليه السلام ثم خلطت به حكايات كثيرة وأساطير. [4]

للتناص مع الكتب السماوية على الروائي أن يكون ملما بالكثير من الثقافات اليونانية والهندية وغيرهما من الثقافات الأخرى وخاصة بالنسبة للتناص من التوراة والإنجيل.

1-كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر:عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة، مصر، ط2 د ت، ج2، ص25.

2- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ص29.

3- إخلاص فخري، استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل، ص20، 21.

4- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ص25.

المبحث الأول: التناص مع القرآن الكريم

يعدّ الموروث الدّيني من أهم المصادر التي يحتك بها المبدع أثناء إنتاجه لنص أدبي ما، لما يحمله الدين من أهمية بالغة في ثقافة الأمم ورقيها، ولما له من مصداقية في إيصال رسالة أو فكرة معينة، وخاصة القرآن الكريم بميزته المعجزة، لأنه كلام الله عزّ وجلّ، فقد جعله الله تعالى معجزا في لغته وفصاحته ومعانيه ودلالتها وآياته وبلاغتها.

وقد تجلى التناص مع القرآن الكريم واضحا وصريحا في رواية الزيني بركات للروائي جمال الغيطاني، وهذا أمر طبيعي، فكثير من الموضوعات التي ناقشها جمال الغيطاني في روايته مستمدة من القرآن، وقد عالجها في آياته ومضامينه، لأن النص القرآني منتج لدلالات لامتناهية، بما يحتويه من أحداث وقصص وعبر، فهو يمثل قاعدة صلبة يتكأ عليها المبدع لإكساب رسالته مصداقية أكثر وشفافية، وذلك بالتناص معه والاقتباس من مفرداته ومعانيه ودلالاته، لما يمثله من خصوبة وعطاء مجددين للفكر والشعور، ولاتخاذه كرمز بين بين المبدع والمتلقي.

فالتناص الديني في رواية الزيني بركات ظاهر جلي من أول قراءة لها، وخاصة مع القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذا يثبت تأثر الروائي جمال الغيطاني بالإسلام وتعاليمه الفاضلة التي حاول نشرها عبر روايته: " الزيني بركات التي ناقش فيها قضية الظلم والاستبداد والنفاق التي بسببها تحطمت وزالت أمم ضاع الحق والعدل فيها واندثر.

ومن التناص مع القرآن الكريم الذي وظفه جمال الغيطاني في روايته الزيني بركات قول الرحالة البندقي فياسكونتي الذي سمع في دكان الشاي من الناس بامر اختفاء الزيني بشكل غير عادي :

"إنها الأيام التي ينسى فيها الإنسان نفسه، ألم يذكر أحد المشايخ الصالحين في خطبة الجمعة الماضية الريح التي تهبّ قبل القيامة ستكنس كل شيء، ريح يرسلها الله عزّ وجلّ يمانية ألين من الحرير وأطيب من نفحة المسك فلا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان بوجود الخالق أو الحق و العدل تبعد الأب عن بنيه والأخ عن أخيه".[1]

فهذه الأسطر من رواية الزيني بركات تتحدث عن الأيام التي غاب فيها الزيني بركات عن الظهور في شوارع مصر وأمام الناس، رقيبا عليهم يهتم بمصالحهم كما يبدو لهم، فليس من عادته الاختفاء هكذا دون إعلان مسبق، وكأن هذه الأيام عجيبة غريبة تحمل سرا من وراء هذا الاختفاء المفاجئ، فهي تشبه الأيام التي تسبق يوم القيامة، اليوم الذي يفرّ فيه الإنسان من كل معارفه، حتى أقرب الناس إليه، وقد وصف الروائي جمال الغيطاني هذه الأيام بأيام أهوال القيامة تناصا مع الآية الكريمة: « **فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** » [سورة عبس الآيات من 33إلى 36].

فهذه الآية من القرآن الكريم تصف اليوم الذي تقوم فيه القيامة وأهوالها، وكم سيكون هذا اليوم عظيما بالنسبة للبشرية جمعاء ، ولشدة هول هذا اليوم يفرّ المرء من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه، فالعلاقة بين السياقين هي أن أيام اختفاء الزيني بركات تشبه أيام قيام الساعة، وهذا الوصف لهذه الأيام يبرز مكانة الزين بركات عند أهل مصر، وأهمية الأيام التي اختفى فيها.

ومن التناص مع القرآن الذي استعمله الروائي جمال الغيطاني في روايته الزين بركات أيضا حديث فياسكونتي البندقي عن خواطر الرجل المسوق إلى الإعدام حيث يقول: " أن يعلم الإنسان أنه بعد خطوات بعد مسافة زمنية معينة لن يفتح عينيه أبدا،

1- جمال الغيطاني، الزيني بركات، تقديم فيصل درّاج، دار الجنوب للنشر، تونس، أفريل 2007م، ص47.

تضيع منه المعالم والأشياء، ربما أموت بعد لحظة، أجهل هذا، لكن أن أعرف تماما بمفارقتي الدنيا في لحظة معينة!".[1]

فهذه الأسطر في رواية الزيني بركات تتحدث عن الظلم والاستبداد للناس وإعدامهم من غير سبب محدد، فالقوي يأكل الضعيف في زمن يسوده النفاق ونهب أموال وأملاك الناس بالباطل، ورغم أن هذا الرجل سيعدم ظلما، إلا أنه مؤمن بقضاء الله وقدره وبحقيقة الموت وأنه لا مفر منها، فالرحالة فياسكونتي البندقي يعلم جيدا أن هؤلاء الرجال المسوقون إلى الإعدام يعدمون بسبب الظلم والبهتان.

وقد تناص جمال الغيطاني في هذه الأسطر مع الآية الكريمة، قال الله تعالى: «وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [سورة النساء الآية 93].

أما عن حقيقة الموت فهو متناص من الآية في قوله تعالى:«أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ» [سورة النساء الآية 77].

فالعلاقة بين السياقين هو التداخل الدلالي، حيث أن المقطع من الرواية يحكي عن الظلم والاستبداد، وعن حقيقة الموت التي آمن بها ذلك الرجل المظلوم رغم أنه سيموت ظلما وبهتانا، ونفس الدلالة والمعنى موجود في الآيتين الكريمتين، فمضمونهما عن الظالم وجزائه وأن الموت قضاء وقدر على الإنسان، وهذا يبين وعي جمال الغيطاني بالظلم السائد في ذلك الزمان، وتجسيده على أنه من مصلحة الناس وإيمان الشعب المصري بالقضاء والقدر خيره وشره.

ومن التناص أيضا مع القرآن الكريم حديث سعيد الجهيني " ربما انتهى الأمر بفتنة بين الأمراء تروح فيها رقاب ، تسيل دماء أبرياء، لا حول ولا قوة لهم ولا شأن

1- المصدر نفسه، ص49.

تغلق أبواب و طيقان، تشعل حرائق في البيوت تهدم مساجد وزوايا"[1]، فهذا حديث سعيد الجهني الشاب الخائف على أهل مصر من الأمراء الذين يسعون وراء تحقيق مصالحهم على حساب الناس ومصالحهم، والمقطع متناص مع القرآن الكريم الذي تحدث عن الفتنة في قوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» سورة آل عمران الآية 77.

وقوله تعالى: «والفِتنةُ أشدُّ من القتلِ» سورة البقرة 191

فقد وصف سعيد الجهيني شدة فساد الفتنة إذ ظهرت، من مقتل، وحرق ، وهدم وذهاب لأرواح أبرياء، وكل هذا قد يحدث بسبب تهاون الأمراء وانشغالهم بالوصول إلى أعلى المراتب من السلطة، دون النظر إلى الطريقة إن كانت شرعية أو غير شرعية، وهذا لن يرضاه سعيد الجهيني أبدا لأنه كان حريصا على إقامة تعاليم الإسلام، وإبعاد الفتنة التي وصفها الله في القرآن الكريم أنها أشد من القتل.

والتداخل الدلالي بينهما واضح في وصف الهلاك والشر الذي ستحدثه الفتنة وسط الناس، وهذا يدل على حرص الروائي على التنبيه من هذه الآفة التي يسببها غالبا ذوو السلطة بسبب غفلتهم. التناص من القرآن ظاهر أيضا في قول سعيد الجهيني " المظالم المستجدة في كل يوم... ما يفعله الظالم، يخلو إلى نفسه ساعتين في كل ليلة يفكر في طرق جديدة للمظالم، يختلق فنونا جديدة لتعذيب صحابه... عليه سخط الله وغضبه".[2]

يتحدث سعيد الجهيني عن الظالمين: على ابن الجود، وصاحبه زكريا ابن راضي اللذين يفكران دائما في طرق جديدة لتعذيب الأبرياء، وطرق للتفنن في الظلم

1- الرواية، ص58.

2- الرواية، ص58.

والاستبداد، وهنا تناص الروائي مع القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [هود : 18] فالظالم عند الله ملعون وله عذاب أليم يوم القيامة، وهذا ما سيلقاه علي بن أبي الجحود وصاحبه زكريا بن راضي لما يفعلانه بالناس في مصر من ظلم متظاهرين بأن فيه مصلحة للناس، فهم يسجنون ويعذبون دون علم من أحد من السلطة، والتداخل الدلالي بين الفقرة من رواية الزيني بركات وبين الآيات من القرآن الكريم هو أن الظالم ملعون باء بسخط من الله عزّ وجلّ، ومن هنا نلاحظ أن الروائي يستند إلى النص المقدس لتعرية الممارسات الشنيعة التي يقوم بها جماعة البصاصين حيث يعلم مسبقا انه يتوجه إلى قارئ قد تشبّع بتعاليم الإسلام الذي يقوم على نبذ الظلم والاستبداد.

ومن التناص أيضا قول سعيد الجهيني عن المظلوم الذي ظلمه زكريا بن راضي " يود لو يزعق من فوق مأذنة الأشرف قايتباي بالأزهر، يوقظ بيوت العامة الفقراء، منازل الأمراء، تخز عينيه أسوار قلعة الجبل، يرفع يديه يطلق آذانا طويلا لا رجعة فيه يسبّ كل ظالم أثيم".[1]

فهذا متأكد من أن دعوته ستكون مستجابة، وليس بينها وبين الله حجاب، فسعيد الجهيني يعرف تماما الظلم الذي يلحقه زكريا بن راض بالناس، وأن أي دعوة من المظلومين ستكون مستجابة وستهلك هذا الظالم الجبار، وهذا متناص مع قوله تعالى: ﴿... وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ [الطلاق : 03] وقوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر : 10] وقوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ

1- الرواية، ص59.

وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[الأعراف : 44].

فالله في هذه الآيات يؤكد للمظلوم أن دعوته مستجابة، ولا تردّ أبدا، وسيأخذ الظالم جزاءه، وأن الروائي يثق في العدالة الإلهية وإنصاف المظلوم في الدنيا قبل الآخرة.

ومن التناص الديني مع القرآن من رواية الزيني بركات للروائي جمال الغيطاني قول سعيد الجهيني: " سعيد يقرض شفتيه، كيف يعذّب عمرو يوم القيامة؟ ربما أطاح رقبة بكلمة، يسفك حياة أسرة، يقطع الأمل من قلب عجوز"[1]

يتساءل سعيد في هذا المقطع عن جزاء الظالم يوم القيامة وما هو مصير عمرو بن العدوي ذلك المتكبر المختال، لأنه متأكد أنه سيلقى جزاء يليق بما فعله مع الناس لتسلطه عليهم، وهذا تناص مع الآية الكريمة: قال الله تعالى:﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى : 45].

فقد بيّن الله في هذه الآية جزاء الظالمين وما ينتظرهم يوم القيامة من عذاب وقريب من ذلك وقوله سبحانه: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾** [ابراهيم ا:42].

وهنا يؤكد الله تعالى في كتابه الكريم أن الظالم محاسب لا محالة وإن أخّر الله له ذلك ليوم تشخص فيه الأبصار، وهذا ما هو متأكد منه سعيد الجهيني، أي أن الظالم سيعذب حتى وإن تأخّر عذابه ليوم القيامة.

وعلاقة التشابك بين الفقرة وبين الآيتين الكريمتين أن للظالم جزاء وعذاب عظيم يوم القيامة، وهذا يدلنا على أن الروائي يعرف هذا جيدا ومتأكد منه .

1- الرواية، ص61.

وقد استشهد جمال الغيطاني بالقرآن الكريم بشكل صريح في روايته الزيني بركات، وهذا في خطاب جاء من قلعة الجبل يعلن عن قرار ترسيم بركات بن موسى مكلفا بحسبة القاهرة" لما فيه من فضل وعفة وأمانة وعلو همة وقوة وصرامة...، لهذا أطلقنا عليه لقب "الزيني" يقرن اسمه مدى الحياة.[1]

وقد افتتح هذا الخطاب[2] بـــ " بسم الله الرحمان الرحيم"

قال الله تعالى :﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : 104]

وقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة : 02].

وقد استشد الروائي بالقرآن بشكل صريح في هذا الخطاب للتأكيد على أن تنصيب الزيني بركات في هذا المنصب فيه خير وصلاح للناس، وكأنه في نظر صاحب هذا الخطاب أن الزيني من الأمة التي يدعون للخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، و هو يراه ممّن يتعاونون على البر والتقوى ولا يتعاونون على الإثم والعدوان، فالاستشهاد بالقرآن الكريم تم توظيفه في الخطاب ليزيد من مصداقيته و بغرض التبرير لتنصيب الزيني بركات رقيبا على الناس " ينظر في المكاييل والموازين، ويحذر من الغش ويتعرّف على الأسعار ويستعلم ويستقصي الأخبار"[3]، ويحرص على أداء مصالح المسلمين بأمانة وأن يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته.

1- المصدر نفسه، ص63، 64.

2- الرواية، ص63.

3- المصدر نفسه، ص64.

فهذا التوظيف للقرآن الكريم من طرف جمال الغيطاني يؤكد على الثقة التي وضعت في الزيني بركات لتولي مصالح المسلمين، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر متى رآه أو وجده بين الناس، وأن تكون صفاته كصفات النبي صلّى الله عليه وسلم، من أمانة، وطهارة، وهذا ما لم يعبأ به الزيني بركات أبدا، ولم يضعه في حسبانه، فالمهم عنده أنه وصل إلى ما أراد لتحقيق مصالحه الخاصة فقط.

ومن التناص مع القرآن الكريم في رواية الزيني بركات هذا القول الذي جاء في هذا الخطاب: " فكل منّا عليه رقيب عتيد"[1]، وهذا يدلّ على أن محرّر هذا الخطاب يعرف جيدا أن الله رقيب على عباده، وكلّ أعمالهم مسجّلة عنده خيرا أو شرا، وهذا متناص مع الآية الكريمة قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق الآية 18].

فهذه الآية تتحدّث عن الملكين اللذين يسجلان أعمال الخلق، وصفاتهما أن أحدهما رقيب والآخر عتيد، فكل ما يقوم به الإنسان من خير أو شر يسجّلانه في كتاب تسجّل فيه أعمال الخلق ليحاسبوا بها يوم القيامة، وهذا القول يؤكد أن الأمانة التي حملت على الزيني بركات ثقيلة، أو فيها عذاب أليم إن لم يؤدها على أكمل وجه، وللتأكيد أيضا على قيمة هذا المنصب لما فيه من تعامل مع الناس والتحذير من ظلمهم، والافتراء عليهم، وهذا القول في الرواية متناص أيضا مع الآية الكريمة قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف : 49].

1- الرواية، ص63.

فالتشابك الدلالي بين المقطع من الرواية وبين الآية الكريمة أن كليهما يؤكد أن الله رقيب على عباده ويذكرهم بذلك في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾[الكهف : 57]

فالمقطع من الرواية يذكر الزيني بركات برقابة الله عليه، والآية تذكر الناس جميعا وتحذرهم من الظلم والاستبداد لأن الله رقيب عليهم.

وقد ورد تناص مع الآية القرآنية الكريمة قال تعالى:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: 18،19،20]. وهذا التناص ورد عند ذكر وقائع حبس علي بن أبي الجود ، وقد بدأ هذا الخطاب بهذا القول: " وسبحان الذي كشف كل غطاء وبسط الأرض ورفع السماء"[1]

فهذا التناص مع القرآن يظهر مشروعية حبس علي بن أبي الجود، وان هذا ما أمر الله به عند معرفة الظالم من الناس ومن سبب قتل الأبرياء لأجل كنز المال والثروات.

فقد تمنى سعيد الجهيني لو أن الساعة تقوم لرؤيته لكل هذا الفساد يزول، حيث يقول: " منذ أيام طلعت إلى المأذنة الجديدة، رأيت السواد يلفّ المدينة، لا حس في العلو الشاهق، الفراغ يجرّ بلا قرار خال من المجاز والأهداف... رأيت نفسي وحيدا... صاعقة منزلة تزلزل الأرض زلزالها، ينكشف الزبانية الملتحقون بقفاطين ملائكية ظاهرها الخير وباطنها الأذى، سداها الشر ولحمتها الضرر"[2]

وهذا القول متناص مع الآية الكريمة قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

1- الرواية، ص 159.

2- المصدر نفسه، ص 240، 241.

خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة] وقوله تعالى:﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد : 13]

فسعيد الجهيني يعرف من هذه السورة أن يوم القيامة ستزلزل الأرض زلزالها، وقد تمنى أن يحدث ذلك في زمان هؤلاء الظالمين المنافقين لينكشفوا على حقيقتهم ويكشف المظهر الخادع الذي يلبسونه أمام الناس.

التشابك بين السور القرآنية، وقول سعيد الجهيني متمثلا في وصف سعيد ليوم القيامة، اليوم الذي ستزلزل الأرض فيه ويفصل فيه بين المؤمنين والمنافقين (وهذا ما تتحدّث عنه السور القرآنية) هو تعالق في المعنى والسياق واللفظ.

ومن المقاطع التي تناص فيها جمال الغيطاني مع القرآن الكريم في روايته الزيني بركات أيضا قول الراوي: " سعيد يبدو مهموما يسمع بشنق عبد، قطع يد سارق، إشهار امرأة ضبطت تسرق رغيفا تقطع يدها اليسرى أو اليمنى إذا وجدوا اليسرى مقطوعة من قبل، يضطرب قلبه كفرخ صغير ابتلّ ريشه، لماذا يحدث كلّ هذا لماذا؟"[1]

يتساءل سعيد الجهيني عن سبب هذا الظلم كلّه و الذي يبدو للناس أنه الحق لأنه أمر جاء من السلطة العليا: يقتلون الأبرياء ويطبقون القصاص الذي أمر به الله على الناس ظلما وبهتانا، أوامر تطبق على الضعيف دون القوي، وعلى الفقير دون الغني، فهو يرى أن الرجل المشنوق قد شنق ظلما لأنه ربما فقير أو ضعيف، وان القصاص

1- الرواية، ص 59.

على السارقة طبّق لأنها ضعيفة أو فقيرة، فلو سرقت غنية لن يطبق عليها القصاص لأنها غنية، كل هذا ظلم.

وهذاالمقطع متناص مع الآية الكريمة : قال تعالى:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة : 38].

فهذه الآية تشرح لنا جزاء السارق والسارقة، وهذا الجزاء حدّه الله على الناس جميعا وليس على الفقير أو الضعيف فقط كما يفعل سلاطين وأمراء وقضاة مصر آنذاك.

علاقة التشابك الدلالي بين المقطع والآية أن الحكم الشرعي المستمد من الآية قد أزيح عن معناه الحقيقي في هذا المقطع، وذلك بتطبيق هذا الحد على الضعفاء والفقراء فقط، وهذا لم يأمر به الله تعالى في كتابه، فالآية تتحدّث عن حد السارق والسارقة الذي يطبق على الناس جميعا، أما المقطع فقد أشار إلى أن الأمر كان مطبقا على فئة معينة من أهل مصر فقط.

وهذا يدلّ على محاولة جمال الغيطاني كشف الظلم الذي ساد في تلك المرحلة من الزمن على أهل مصر في روايته الزيني بركات ، حيث حاول الحكام إعطاءه صبغة شرعية بغير وجه حق.

ومن التناص مع القرآن الكريم الذي وظّفه جمال الغيطاني في رواية الزيني بركات قول سعيد: " وعندما ذهبت لم أجد لقدمي مكانا، وكأنه يوم الحشر"[1]

وهذا المقطع فيه دلالة على كثرة الناس الذين جاءوا إلى المسجد من أجل رؤية الزيني بركات الذي سيصبح واليا على مصالحهم، فهم لم يروه، وقد سمعوا عنه الكثير،

1- الرواية ص81.

فإقبال الناس الكبير إلى المسجد شبّهه سعيد بيوم الحشر، حيث يتجمع الخلق والبشرية جمعاء، وهذا تناص مع القرآن الكريم في جميع الآيات التي تذكر الحشر مثل قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 02]

و قوله عز وجل:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس (45)]

وقوله سبحانه :﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ : 40]

فقد تحدّث الله تعالى عن يوم الحشر فهو يوم عظيم يجتمع فيه البشر كلهم بعد إحيائهم من القبور، فهو يوم الواقعة.

ووجه التعالق والتشابك بين الآيات والمقطع أن اليوم الذي حضر فيه الزيني بركات إلى جامع الأزهر ليلقي خطبة على الناس، كان يوما عظيما عند أهل مصر، وكانوا كلهم حاضرين في هذا المكان، فهو يوم يشبه يوم القيامة، يوم الطامّة الكبرى، حيث يجتمع الناس للقاء جزاءهم وحسابهم.

فجمال الغيطاني في هذه الرواية يوظف فكرة الإيمان بيوم القيامة وقدومه، وهول هذا اليوم العظيم على الناس وجمع الخلق كلهم دون استثناء مصداقا لقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[الكهف : 47]

ونذكر أيضا قول الروائي في هذا المقطع:"... يستعيذ بالله العلي القدير ملهم البشر كاشف الأسرار عالم الغيوب"[1]. فهذا المقطع يصور إيمان زكريا ابن راضي بأن الله هو عالم الغيوب، ورغم ذلك يقوم بأعمال يخالف بها الدين كأكل حق الناس بالباطل وهو يعلم أن هذا حرام غير مقبول والله سيحاسبه على ذلك، لأنه كاشف الأسرار عالم الغيوب، وهذا القول متناص مع الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[التوبة:78]. ففي هذه الآية يحذر الله عباده الذين يعلمون أنه هو عالم الغيب، وأنه يعلم كل صغيرة وكبيرة إن أعلنوها أو أخفوها في نفوسهم.

التعلق بين المقطع والآية يؤكد علاقة النص الروائي بالنص القرآني، فالمقطع من الرواية يحكي عن غفلة زكريا بن راضي عن حساب وجزاء المنافق والظالم رغم علمه بأن الله هو علام الغيوب، وأن ظلمه للناس يعلمه الله وسيعدّ له عذابا أليما. فهو بذلك يخالف تحذير الله الوارد في الآية الكريمة للذين يعلمون قدرة الله علام الغيوب وغفلتهم عنها.

يقول المقدم في رواية الزيني بركات لعمر بن العدوى الطالب في الأزهر:" وربما أصبحت في يوم ما، وهذا يصحّ بإذن الواحد الأحد الفرد الصمد، ربما صرت قاضيا كبيرا، ... سوف نساعدك نحن أن تصبحّ قاضيا.[2]

1- الرواية ص71.

2- الرواية، ص85.

فهذا المقطع من الرواية متناص مع الآيات الأولى من سورة الإخلاص. قال تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ 1 اللَّهُ الصَّمَدُ 2﴾ [الإخلاص : 01، 02].

فكلمة الصمد في هذه الآية تعني أنه:"هو جل وعلا المقصود في الحوائج على الدوام، يحتاج إليه الخلق وهو مستغن عن العالمين، قال الأــلوسي: الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد،ــ الذي يصمد إليه _أي يلجأ إليه _ الناس في حوائجهم وأمورهم"[1]

والتعالق بين الآية والمقطع أن المقدم مؤمن بأن قضاء الحاجات يكون بالاستعانة بالله عزّ وجلّ، وهذا ما تبرره الآية الكريمة.

إلا أن المقطع أزاح الآية عن معناها الحقيقي لأنه أراد بقوله أنّك ربما ستنصب يوما ما قاضيا، وهذا بمساعدتنا نحن أصحاب المراتب العليا وبمساعدة الله أيضا، وكأنه يقول ذلك فقط للظهور أمامه بأنه رجل زاهد عارف بالقرآن وبالإسلام ومتتبع لتعاليمه، وهذا استغلال لآيات القرآن الكريم وتوظيف في غير محلها للظهور بصورة لائقة أمام الناس.

وهذا المقطع أراد به الروائي جمال الغيطاني إبراز شدة النفاق، في ذلك الزمان، من طرف السلاطين والأمراء و ورجالهم أمام عامة الناس.

وقد استشهد سعيد الجهيني بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195].

وهذا لإرشاد العامة إلى الصواب وليتفطنوا إلى أعمال الزيني بركات، وكشف حقيقة هذا الرجل الظالم الذي يستغلهم لتحقيق مصلحته الخاصة، والظهور أمامهم على أنه رجل صادق عادل يحرص على أهل بلده، وقد وظّف سعيد الجهيني هذه الآية

[1]- محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، دار القران الكريم، بيروت ،ط4، 1981، ج3، ص221

لتحذير الناس من أن يلقوا بأيديهم وأنفسهم إلى التهلكة، وذلك بتصديق هذا المنافق الزيني بركات، فسعيد الجهيني يعرف حقيقته التي تغيب عن كثير من أهل مصر، وهو يحاول توعيتهم بهذه الآية الكريمة حيث تصديق الزيني و اتباعه يشبه إلقاء النفس في المهالك.

فسعيد الجهيني شخصية فاعلة في رواية الزيني بركات، كونه الطالب الأزهري الزاهد العارف بالله، الذي يرى، ويعي أن كل أعمال الزيني بركات المشينة من أجل إعلاء مرتبته ومنصبه وتحقيق مصالحه، وهو يقف موقفا معاديا لكل هذا، ومحاولة منه إيصال هذا الوعي إلى عامة أهل مصر تبصيرهم بالظلم والاستبداد، يستشهد بالآيات القرآنية.

ووجه التناص أن سعيد الجهيني لا يريد لأهل مصر أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، كما أمرهم الله عزّ وجلّ.

ومن الآيات التي تناص معها سعيد الجهيني في حديثه عن الظلم قوله: "حتى علي بن الجود وطبعا كان إنسانا عانى ما عانى منه ؟ ثم ألن يوقع به الله عذابا أشدّ وأنكى؟ [1]"، فهو يتساءل عن عذاب هذا الظالم عند الله بعد أن فعل ما فعل بأهل مصر حيث جعل كثيرا من الناس يعانون بسبب ظلمه لهم.

وهذا المقطع متناص مع الآية الكريمة:﴿ **فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [فصلت : 27] و قوله تعالى:﴿**وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ**﴾ [طه : 127]

1- الرواية، ص111.

يقول الزيني بركات في ندائه وخطابه الموجه إلى أهل مصر " يا أهالي مصر، نوصي بالمعروف، وننهى عن المنكر"[1]، اذن لقد افتتح الزيني بركات خطابه هذا بكلمات تتناص مع القرآن، حيث يتوقع منه الناس خيرا بهذا الاستفتاح الذي يوصي فيه الناس بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ليصدّق الناس أنه رجل متديّن زاهد عادل.

فهذا الاقتباس من القرآن في خطاباته يزيده حبا واحتراما وتبجيلا من اهالي مصر لما يحمله الجانب الديني من تأثير في مشاعر الناس، ففي الخطاب يتناص الزيني بركات مع القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿**وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ** ﴾ **سورة الطلاق الآية 06**.وقوله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ**﴾ [الأعراف : 157]

فسياق الآية الأولى يدلّ على أمر الله تعالى لعباده بأن يأتمروا بينهم بالمعروف، أما الآية الثانية فتبين سنة محمد صلى الله عليه وسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.فهل امتثل الزيني بركات لأمر الله تعالى وهل سار على هدي نبيه؟ الرواية تبين انه صنع عكس ما قاله تماما.

والمقطع من الخطاب السابق متناص أيضا مع قوله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران: 107].

ففي هذه الآية يبين الله تعالى أن الأمة الإسلامية أحسن أمة أخرجت للناس لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالتداخل الدلالي بين سياق المقطع من الخطاب، وسياق الآية الكريمة أن الزيني بركات في توجيهه لهذا الخطاب يحاول أن

1- الرواية، ص113.

يقول للناس ويوحي إليهم أنه من الأمة التي تحدّث الله عنها في كتابه العزيز، وأنه يطبق أمر الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن خلال سياق الراوية نلاحظ أن هذا: تناص تخالف، فالزيني بركات استعمل كلام الله لتحقيق مصالحه الخاصة، فأهالي مصر الضعفاء قد صدّقوا كلامه المقتبس من القرآن، إذ تهيأ لهم أن مقتبس كلام الله لا يكذب ولا ينافق ، فليس هناك شخص يجرأ على استعمال كلام الله جل وعلا للوصول إلى تحقيق غاياته الدنيئة في اعتقاد هؤلاء الأهالي الطيبين.

وقد تناص الزيني بركات مع القرآن الكريم عن طريق الاستشهاد ، في هذا المقطع من خطابه الموجه إلى زكريا بن راضي والذي يقول فيه:... ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ 1 وَطُورِ سِينِينَ 2 وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ3﴾.." [التين،: 01، 02، 03]. وهذه الآيات المستشهد بها من سورة التين التي يقسم فيها الله بالتين والزيتون والبلد الأمين مكة المكرمة[1].

وقد استشهد الزيني بركات بهذه الآيات ليقسم بالتين والزيتون واستعار لفظة البلد الأمين للدلالة على "مصر"، وأنها بلد أمين، وهو يسعى في عمله إلى حفظ هذا الأمن في هذا البلد، وأنّ مصالحه ومصلحة الشعب واحدة و مشتركة في هذا البلد الأمين.

ومن أكثر الموضوعات المتناولة بالتّناص مع القرآن الكريم في الرواية موضوع اللّيل والنّهار، وهذا فيما يلي (مثلا):" خلق الله ليلا ونهارا، ليلا مظلما ونهارا مضيئا، خلق الله الليل ستارا ولباسا"[2]، وهذا الحديث قاله أحد الوعّاظ للنّاس في خطبة في

[1] ينظر محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص577

1الرواية، ص85

المسجد ليبيّن لهم أنّ وضع الفوانيس في المدينة بدعة ولا يجب القبول بها، وعليهم التّمرد على هذا القرار الذي جاء به الزيني بركات، فهم ليسوا بحاجة إلى فوانيس لأن الله خلق اللّيل وخلق النهار ولا يجبّ التّطاول على ما جعله الله لعباده، فهو أدرى بحاجياتهم، وقد تناصّ مع قول الله تعالى:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ 1وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ2 ﴾ [الليل: 01، 02].

فاللّيل يغشى بظلمته التي تغطي كل الأشياء، وتجلي النّهار بضوئه لسعي الناس إلى قضاء حاجياتهم، ومتناص مع قوله تعالى أيضا:﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا 10وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا11 ﴾ [النبأ: 10، 11].

وفي هذه الآية يبيّن الله تعالى فضله على الكون، فقد جعل اللّيل لباسا فهو ساتر بظلمته كلّ شيء كاللّباس ليرتاح النّاس وكلّ الكائنات المخلوقة من متاعب النّهار، وجعل النّهار معاشا ليحصل فيه النّاس على ما يعيشون به.

فالتشابك والتعالق بين النّص الحاضر " الرواية "، والنّص الغائب " القرآن الكريم " ظاهر في السّياق والمعنى واللّفظ، فالواعظ للنّاس يبيّن لهم بالدليل القاطع أنّ الله أدرى بمصلحتهم وليس الزّيني بركات، بما أتى به من بدع، وبهذا أراد أن يكشف للنّاس أنّ الزّيني بركات لا يبحث إلاّ على مصلحته.

ويفتتح الزيني بركات خطاباته الموجّهة إلى أهل مصر بالآيات القرآنية مثل قوله تعالى:﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ 125﴾[النحل، 125]. ذكره لهذه الآية واستفتاحه بها كان الغرض منه أن يحبّه الناس لحبه للقرآن وعمله بكلام الله عزّ وجلّ، فهو يقول لهم أنه هو ذلك الرجل الذي يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة

الحسنة و يجادل بالتي هي أحسن، أي أن كل ما يفعله للناس من مشاريع تخدم مصلحتهم و من أجل أن يستقيم العدل ومن أجل مرضاة رب العالمين.

يمكن القول أن هذا التناص هو تناص تخالف، لأن الزيني بركات استشهد بهذه الآية من أجل مصلحته فقط، فقد أخرجها عن معناها وعن سياقها الحقيقيّ للظهور بمظهر الزهد والورع والصلاح، وأنه رجل ذو سلطة رفيعة، ومع ذلك هو يدعو إلى سبيل الله، وكلّ هذا نفاق من الزيني بركات.

ووظف الروائي أيضا في خطابه " وجعلناكم فوق بعض درجات"[1]، على لسان زكريا بن راضي(زعيم البصاصين) وذلك ليبيح أعمال البصاصين(الجواسيس) وأعماله هو أيضا لأنه رفيع الدرجة، وان الله يرفع من يشاء، و ليقنع أهالي مصر بمشروعية أعمال البصاصين، وأنه أرفع درجة من الناس ومن العامة لأن الله قد رفعه، حتى يرضى الناس بما هم عليه، ولا يعارضوه في التنصت عليهم، وكأن الله هو من جعل الناس في مرتبة ودرجة أقل من زكريا ومن هؤلاء البصاصين ومن الزيني بركات نفسه.

وهذا متناص مع قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ 165﴾ [الأنعام: 165].

وهذا تناص تخالف أيضا، لأن زكريا أزاح الآية القرآنية عن معناها الحقيقي ليقنع الناس أنهم أدنى مرتبة منه، لأن الله قد رفعه إلى درجة عالية منهم، وهذا لإعطاء مشروعية لأعماله.

1- الرواية، ص97.

ومن الآيات القرآنية التي وظّفها جمال الغيطاني في تأليفه لهذه الرواية، حديث زكريا بن راضي في خطابه الموّجه إلى البصاصين فقد تناص مع هذه الآيات:

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر :14].

وقال أيضا:﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78].

وقوله أيضا:﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق :18].

وقد وظف هذه الآيات ليثبت أن كلامه في هذا الخطاب سيكون حقا وليس باطلا، لأن الله يراقبه، وهو علام الغيوب، وكل ما يتلفظ به الإنسان يسجله الله تعالى في كتابه ليحاسب به الإنسان يوم القيامة، وهو يخاف من عذاب الله تعالى، لأن الله بالمرصاد لكل الظالمين والمنافقين.

وهو بهذا أخرج الآيات عن معناها الحقيقي بتوظيفها في خطاب زكريا مع البصاصين، لأنهم لو كانوا حقا يخشون الله لما تتبعوا عورات الناس، ولما عملوا لدى زكريا بن راضي كبير البصاصين في مصر مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات : 12].

يقول سعيد الجهيني في تناصه مع القرآن الكريم عن الزمن الذي يعيش فيه "أتى الزمان الذي لا يعرف فيه الابن أباه، يسأل الأخ عن أخيه فينكره حتى ولو جاوره

وقوفا ، أتى اليوم الذي ترمي فيه كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى"[1]

يشبه سعيد الأيام التي عاشها أهالي مصر في تلك الفترة بعلامات قيام القيامة، وذلك لكثرة الفساد والظلم السائد في ذلك الزمن، فكل واحد يبحث عن مصلحته ، وينكر كل من لهم صلة به حتى ابنه وأخاه، فكل واحد يفكر في نفسه، وهذا متناص مع قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ 1 يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ2﴾ [الحج: 01، 02].

في هذه الآية يشرح الله لعباده ويبين لهم هول هذا اليوم، ويحضهم على التمسك والتحلي بالتقوى لأن زلزلة الساعة أمر عظيم، حيث تذهل كل مرضعة وتغفل عن طفلها الرضيع وهو أحب الناس إليها[2] وتنشغل بنفسها فقط.

فالتعارض والتشابك والتعالق ظاهر في المعنى والسياق واللغة بين المقطع الروائي وبين الآية من القرآن الكريم، فاستعمال سعيد الجهيني لهذا التناص من القرآن تعبير عن الزمن الذي يعيش فيه وما رآه من ظلم واستبداد، وبحث عن المصلحة الشخصية، وكأن هذه الأيام هي الأيام التي تسبق يوم قيام الساعة، وهذا ما ورد في الآية الكريمة عن يوم القيامة وما يصاحبه من هول. وهذا ما وصف به سعيد الجهيني تلك الأيام التي يعيشها متناصا مع كلام الله عز وجلّ.

1- الرواية، ص305.

2 ينظر محمد الصابوني ، صفوة التفاسير،ج2، ص280.

ويقول أيضا سعيد الجهيني في حديثه عن ذلك الزمان: "أهي القارعة وما أدراك ما القارعة "[1] وهذا متناص مع قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ 1 مَا الْقَارِعَةُ 2 وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 01، 02].

فهذا اليوم العظيم يقرع القلوب لشدة هوله ويخيفها، وما أدراك ما ذلك الخوف والقرع في ذلك اليوم، والتعالق واضح في المعنى والسياق واللغة بين الآية والمقطع من الرواية، لأنه متناص معها.

ومن توظيف القصص القرآني في رواية الزيني بركات نذكر قصة سيدنا يوسف عليه السلام قول الروائي:" أما سيدنا يوسف فإخوته هم الذين ألقوه في البئر، وحزّوا نفس يعقوب"[2] . هذا حديث زكريا بن راضي كبير البصاصين في مصر، في الاجتماع الذي عقده للبصاصين، وبهذا القول يحاول أن يعطي أمثلة عمّا تعرّض إليه النبي يوسف عليه السلام وأن إخوته كرهوه لأنهم علموا أنه سيكون خلفية أبيه في النبوة، وأنّ هدفه كان شريفا، وهذا ما أدّى بإخوته إلى رميه في غياهب الجب.

وكان هذا الحديث مشحونا بأمثلة للرسل الذين تعذّبوا في مسيرتهم، وذلك لإعطاء قوة ودافع من أجل مواصلة هذا العمل، وكأنه عمل شريف يستحقّ تحمل الصعاب والمشاق وكره الناس لهم، ففي نظر زكريا بن راضي عمل البصاص عمل يشبه في متاعبه مسيرة الرسل والأنبياء، وهذا تناص خلاف، لأن هذا العمل لا يمت بصلة أبدا إلى عمل الأنبياء في تبليغ الرسالة إلى الخلق، فسيدنا يوسف لم يكن له ذنب في كراهية إخوته له، أما عمل البصاص فيستحق الكره والذل من الناس جميعا.

1- الرواية، ص305.

2- الرواية، ص256.

وقد تناص زكريا بن راضي مع قوله تعالى:﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (7)إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ10﴾ [القارعة: 07، 08، 09، 10].

توظيف جمال الغيطاني للقصص القرآني دلالة على إلمامه وإحاطته بقصص الأنبياء وما حدث لهم من مشاق ومتاعب لتبليغ الرسالة.

في الرواية يقول الشيخ الدمراوي متناصا مع القرآن الكريم: " في مكان مجهول لا تطرقه دابة يجتمع سيدنا الخضر وسيدنا الياس ليلقيا نظرة على بلاد يأجوج ومأجوج حتى لا يكسروا السد ويغرقوا العالم... هل نفذ بعض اليأجوج إلى دنيانا وتنكروا في هيئة البشر؟ "[1]، فالشيخ الدمراوي رجل صالح يدعو إلى الخير والصلاح، وهو غير راض عن الفساد الذي يحدث في البلاد، وفي قوله هذا تناص مع الآية الكريمة :

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا 94﴾[الكهف: 94].

ففي حديث الشيخ الدمراوي تأسف وحسرة على ما أحدثه المفسدون في الأرض، حتى وصفهم بأنهم بعض من يأجوج الذين نفذوا إلى الدنيا، وتنكروا في هيئة بشر لإحداث الفساد والفتنة والظلم والاستبداد، وتمنى لو أن سيدنا الخضر وسيدنا إلياس يأتيان ليلقيا نظرة على ما يحصل في الأرض من خراب بسبب بعض البشر من أتباع يأجوج ومأجوج اللذين وضعهما ذو القرنين خلف سد بناه من أجل إبعادهما عن الفساد في الأرض. فلو كان سيدنا الخضر حاضرا فلن يسمح أبدا لهذا الفساد بالانتشار في

1- الرواية ص275.

الأرض، وذلك لما يعرفه الشيخ الدمراوي من القرآن: فالخضر مصلح الفساد بما قام به في قصته مع سيدنا موسى عليه السلام، لأن الله قد آتاه رحمة وعلما بالفساد الذي سيحدثه الناس في البلاد.

والتعالق ظاهر بين النصين السابقين، اذ تتعالق الرواية مع النص القرآني في كثير من المواضع، فحديث الشيخ الدمراوي يشرح ويفسر ما جاء في الآيتين عن يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض ، وعن سيدنا الخضر مصلحها.

مما سبق نلاحظ أن من أبرز المتناصات في رواية الزيني بركات و التي وظفها جمال الغيطاني من النصوص الدينية: تناصه مع القصص القرآني، وذلك لتأكيد ارتباط النص الحاضر بالنص الغائب، فالنص الحاضر هو الرواية، والنص الغائب هو القصص القرآني.

ومن هذه التناصات نذكر قول زكريا بن راضي: "لو أوتي فرعون مصر بصاصا عظيما نفذ إلى حقيقة الطفل الذي ألقته أمه في النهر، لما عرفت الدنيا نبي الله موسى، ولنجى فرعون وجنوده من الغرق".[1]

يتحدث زكريا بن راضي عن البصاصين الذين يأتون بكل أخبار الناس، ماذا لو كان لفرعون بصاصا في ذلك الزمان، لعرف إذن بمولد سيدنا موسى عليه السلام، وتعرّف أنه هو الطفل الذي ألقته أمه في اليم، ليستقرّ في الأخير أمام قصره ويكون قدره أن الفرعون بنفسه هو الذي يعتني به بطلب من زوجته، و لكان قد قتله قبل أن يصل إليه، فأحداث هذه القصة مقتبسة من القرآن الكريم: قصة أم موسى التي ألقته في اليم خوفا من أن يقتله فرعون، وقصة غرق فرعون وجنوده عند اللحاق بسيدنا موسى

1- الرواية ص122.

وأتباعه وسط البحر، وهذا في قوله تعالى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: الآية07].

وقوله تعالى أيضا:﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: الآية78].

وقوله أيضا:﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ 90﴾ [يونس: الآية90].

ومن التناص من القصص القرآني أيضا نذكر من الرواية استعمال جمال الغيطاني لقصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، ومحاكاتها في قصة سعيد الجهيني يوم زواج معشوقته سماح: " تضجّ في أذنيه الكلمات، يصغي إلى أصوات العرس ليلة أن ذبح ذبحا، ولم يعفته جبريل عليه السلام، لم يبكه قلبه بل هام كالأبرص يرى الدنيا ثقبا ضيقا، قدّم له جرعة ماء،...سفكت دماؤه فوق صحراء".[1]

فما حدث لسعيد الجهيني يوم زواج سماح التي أحبّها من صميم قلبه، يشبه بقصة إسماعيل و فدائه بذبح عظيم، لكن هذه المرة كان سعيد هو الذبح العظيم الذي لم يفتده جبريل بمنع هذا الزفاف. وحتى الزيني بركات كان حاضرا في العرس، ولم يساعد في افتداء سعيد، رغم انه كان يعلم بحبّه لها.

فهذا التوظيف لقصة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل وأضفى تأثيرا كبيرا لقصة زواج سماح وتركها لسعيد وحيدا يتعذيب في هواها، والتشابك واضح في القصتين، فسعيد الجهيني كان هو كبش الفداء في قصة سيدنا إبراهيم.

1- الرواية ص243.

المبحث الثالث: التناص مع الحديث الشريف و السنة "النبوية"

إن الحديث الشريف في حقيقته لا ينفصل عن القرآن الكريم لأنه يقوم على التفسير والتدبّر والتأمل في المخزون القرآني وما يحويه من آيات قد يصعب الوصول إلى معناها الحقيقي أي المعنى الذي أراده الله تعالى منها.

كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم يسهل على صحابته الكرام تحديد معاني الآيات، ويشرحها لهم في أحاديث غاية في البلاغة والفصاحة، لأنه أوتي جوامع الكلم، فقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ليتمّم مكارم الأخلاق للوصول إلى أهداف سامية ونبيلة من خلال الوصايا التي قدّمها.

إن الحديث الشريف مرجعية مهمة للكثير من الأدباء لمعالجة قضاياهم، وذلك بالاستشهاد به لضرورة التوضيح والتدليل بالبرهان الذي يحمل مصداقية لا نقاش فيها، لأنه مقوم من مقومات الدين والعقيدة الإسلامية.

ورواية الزيني بركات لجمال الغيطاني لم تخلُ من هذه الاستشهادات ، فقد كان لتوظيف الحديث الشريف وقع في نفس المتلقي، حيث كان استلهام هذه الأحاديث، وما يتعلّق بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلّم، في هذه الرواية التي يتّسم سياق أحداثها بالواقعية، انطلاقا من شخصياتها الواقعية وتعاملهم فيما بينهم في زمن ساد فيه الظلم والفساد والاستبداد.

وتوظيف الأحاديث النبوية الشريفة كان بهدف التوعية بهذا الموروث النبوي النثري الذي تركه رسولنا الكريم. وقد حملت رواية الزيني بركات الكثير من التناصات مع الحديث الشريف، ومن التناص مع الحديث مع الحديث الشريف قول زكريا للمعلم عوض المعروف "بابن كينة": "ألا يوجد عندك حل غير الطلاق، أنت تعرف أن أبغض

الحلال عند الله الطلاق" [1]، فهو في حديثه هذا يمثل دور الناصح لصديقه أو لخادمه الذي يريد أن يطلق زوجته مستعملا عبارة: إن أبغض الحلال عند الله الطلاق، وذلك لإقناعه بالبحث عن حل آخر والابتعاد عن الطلاق الذي يبغضه الله تعالى، حيث طلب منه إرجاع زوجته إلى بيتها لإرضاء الله عنه.

وقد تناص زكريا بن راضي في قوله هذا مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **أبغض الحلال عند الله الطلاق** "[2]

وقد حملت رواية الزيني بركات الكثير من التناصات مع الحديث الشريف، ومن التناص الديني الذي وظّفه جمال الغيطاني مع الحديث الشريف في رواية الزيني بركات مقطع من قول زكريا بن راضي في شخصية الزيني بركات: " من اي طينة خلق بركات هذا؟ هل جاء المسيح الدّجال متنكرا؟ هل نفذ إلى العالم؟"[3]، فقد وصف زكريا بن راضي الزيني بركات أنه مثل المسيح الدجال الذي يظهر فجأة متنكرا متسائلا عن الطينة التي خلق منها وكأنه ليس مخلوق مثل البشر.

وسبب تشبيهه بالمسيح الدجال هو ظهوره المفاجئ في منصب راق في السلطة بعد دفعه رشوة لتنصيبه في هذا المقام الرفيع، فزكريا بن راضي يعلم تماما أن الزيني بركات وصل الى هذا المنصب عبر النفاق والاحتيال والظلم والاستبداد، حتى أنه يشبّهه بالمسيح الدجال، وهذا متناص مع الحديث الشريف في حديث حذيفة رضي الله

1- الرواية ص45.

2- الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د ط، د ت، ص128

3- الرواية ص 72.

عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدجال أعور العين جفال الشعر – كثيره– معه جنة ونار ، فناره جنة وجنته نار"[1]، وأيضا متناص مع الحديث الآتي عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّي قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ألا تعقلوه، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد، أعور مطموس العين، ليس بناتئة أو حجراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا ان ربكم ليس بأعور"[2]، ففي الحديث الأول يشرح الرسول صلى الله عليه وسلم شدة نفاق المسيح الدجال الذي جنته نار وناره جنة، فهو يظهر للناس الخير والنوايا الحسنة ومن يصدقه يعده بالجنة والنعيم التي هي في الحقيقة نار وسعير، لأن من صدّقه قد كفر بالله عزّ وجلّ، فالمسيح الدجال رجل يضمر في داخله البغض والخداع، ويحاول تضليل الناس عن الطريق المستقيم وإبعادهم عن الإيمان بالله عزّ وجلّ.

والتعالق والتشابك بين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحديث زكريا بن راضي عن الزيني بركات أنه يشبّهه بالمسيح الدجال لظهوره المفاجئ في السلطة في مقام رفيع بسبب نفاقه وإظهاره أن نواياه حسنة، وأنه رجل عادل صالح وهو في داخله لا يبحث إلا عن تحقيق مصلحته الخاصة بأية طريقة كانت وعلى حساب الناس ومصالحهم، فهو يظهر لهم أنه حريص على شؤونهم، وفي هذا نفاق كبير لأن محاولة إرضاء أهالي مصر مجرد طريق للوصول إلى الأهداف التي يرسمها وإلى غايته الدنيئة.

1– مسلم ابن حجاج، صحيح مسلم، تح: نظر بن الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط1، 2006م مج 2، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم.

2– سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود، سنن أبي داود ، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م، مج5.

وصف الزيني بركات على أنه المسيح الدجال كان بهدف أن يصور لنا الروائي جمال الغيطاني نفاق واحتيال هذا الرجل لأجل مصالحه الخاصة.

ومن الأحاديث الشريفة التي استعملها الزيني بركات في خطاباته من أجل التأثير على أهالي مصر لما يحتله الحديث النبوي الشريف من مكانة في قلوب المسلمين قوله : " وكما تعرفون فإن أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام قال: من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرّهم، ومن أرضى الناس بسخط الله وكّله الله إليهم، ومن أحسن فيما بينه وبين الله تعالى أحسن الله فيما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله شرّ دنياه[1]"

فالتعارض واضح بين الحديث وبين مقصدية الزيني بركات منه و هي الإيهام بأنه يعمل بوصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه يرضي الله تعالى حتى ولو سخط عليه بعض أهالي مصر، وذلك حتى لا يصدّق الناس ما يحكى عنه من كلام يفضح حقيقته أمامهم، فقد استمدّ معاني هذا الحديث لينسبها إلى نفسه، وليثبت أنه بريء من كلام الناس عنه وأنّ الله راض عنه رغم سخط الناس عليه، لأن ما يفعله من أعمال هي لإرضاء الله تعالى، وبهذا أخرج الحديث من معناه إلى معنى مزيف يخدمه هو، وهذا يدلّ على حيلة وذكاء الزيني بركات وقدرته على التأثير على الناس باستعمال أقوى الحجج لينفذ كلامه إلى قلوب أهالي مصر.

من أمثال الزيني بركات نجد زكريا بن راضي الذي افتتح حديثه ببعض آيات القرآن القرآن الكريم والحديث الشريف، حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"[2]، وهذا الحديث

1- سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود، سنن أبي داود ، " باب الرجل يحلف على علمه فيما غاب عنه.

2- المصدر السابق، باب الرجل يحلف على علمه فيما غاب عنه.

وظّفه زكريا بن راضي واستفتح به خطابه في اجتماع للبصاصين ليؤكد لهم أن الاجتماع يحمل الخير والمنفعة وأن كل ما يقوله هو خير لهم، وليبيح هذا الفعل الدنيء المتضمن تتبع أخبار الناس حتى داخل بيوتهم ومع زوجاتهم وأبنائهم.

فالتعارض والتشابك بين الحديث الشريف وما يريده زكريا بن راضي هو أن الحديث يأمر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقول الخير أو الصمت، أما الشخصية فاستعملته في غير ما وضع له لأن كلامها كله زور ونفاق وتحريض على فعل الشر وما يخالف أوامر الله عزّ وجلّ، فقد زحزح هذا الحديث عن معناه الحقيقي.

ومن التناص مع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلّم: يقول منصور الطالب الأزهري لصديقه سعيد الجهيني: " يا سعيد أنا مقطوع الأمل من المهدي المنتظر، لو قام ناطق الزمان، لو ظهر، لو جاء من الكعبة يشهر سيفه الذهبي سيتصدّى له زكريا، سيحرمه دخول الديار ، سيقضي عليه ويرميه في المقشرة" [1]

هذا الحديث يؤكد انتظار الشاب منصور لظهور المهدي بفارغ الصبر حتى كاد يفقد الأمل من ظهور هذا الشخص الذي سيقضي على الظلم ويعيد إحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وسيحيي الدعوة إلى الإسلام التي غفل عنها المسلمون.

وهذا القول متناص مع قوله صلى الله عليه وسلّم في حديثه عن المهدي المنتظر عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلّم عن النبي صلى الله عليه وسلّم: " يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من أهل الشام فيخسف بهم في البيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله

1- الرواية ص 240.

كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليه، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسّم المال ويعمل بين الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلّم، ويلقي الإسلام إلى جيرانه بالأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ".[1]

والتعالق بين قول منصور والحديث الشريف أن المهدي المنتظر رجل صالح يدعو إلى الإسلام وسيحارب من أجل الإسلام الظلم والاستبداد، لكن لو ظهر في زمان الزيني بركات لتصدّى الظالم زكريا بن راضي له، فحتى المهدي لا يستطيع شيئا أمام هذا الطاغية.

إن قوة انتماء رواية الزيني بركات إلى الأدب هي التي قادتنا إلى الوقوف على أهم علاقات التعلق النصي التي ربطت هذه الاخيرة بالنصوص الدينية وحملتنا على إبراز العوامل التي دفعت جمال الغيطاني إلى اعتماد هذه النصوص بصورة أساسية.[2]

وبفضل تلك المقاربة اهتدينا إلى سعة اطلاع الروائي على خصائص النصوص الدينية والتراثية أيضا، وإعجابه بالجنس الروائي الغربي و توقه إلى التميز الأدبي جعله يحرص كل الحرص على إنشاء نص روائي متين العلاقة بالدين والتراث من ناحية، ومتّسم من ناحية أخرى بسمات دالة على أنه يختلف عن الروايات السائدة في الأدب العربي وفي الآداب الأجنبية فليس هنالك شك أن صلة جمال الغيطاني بالتراث العربي الإسلامي بدأت بصفته رجلا عربيا مسلما يقيم بحي من أحياء القاهرة الحديثة واتصاله بمكتباتها الزاخرة بالكتب الدينية والتراثية وبترجمات لروايات أجنبية تظافر هذا للفت انتباهه إلى أهمية الدين وأهمية الكتب التراثية المتنوعة أوقفه على الفروق بين

1- سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود، سنن أبي داود ، "ص4286.

2- فوزي الزمرلي شعرية الرواية العربية، بحث في أشكال تاصيل الرواية العربية ودلالتها، مؤسسة القدوس الثقافية، دمشق، 2007، د ط ، ص355.

النصوص الدينية والنصوص التراثية في لغتها وبلاغتها وجمالها وبين الروايات العربية.[1]

وقد ساعدت هزيمة1967م في شحذ الهمم وبالأخص همة الروائي جمال الغيطاني ووعيه السياسي ودفعه إلى تقويم واقع مجتمعه المنكوب وذكّرته بالكارثة التي أحالت مصر خلال القرن السادس عشر الى ولاية تابعة للعثمانيين.

وهكذا اتّحدت الدوافع الدينية والسياسية والجمالية والإيديولوجية لتوجيه جمال الغيطاني إلى إمعان النظر في قسم غير قليل من التراث والدين، وتوظيفه لتأصيل روايته والإشارة إلى قوة صلته بالنصوص الدينية والأدبية وغير الأدبية.

ومع ذلك فان متانة علاقات الرواية بالنصوص السابقة لم تقطع صلتها بواقع المجتمع المصري في العصر الحديث ولا برؤية المؤلف الإيديولوجية.[2]

1- المرجع السابق، ص 355.

2- المرجع نفسع، ص 356.

المبحث الثالث: التناص مع التوراة

التوراة هي الكتاب المنزل على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وقد وظف جمال الغيطاني بعض ما قيل في الكتب المعروفة أنها التوراة، بالرغم من أنها مختلفة حتما عن الكتاب المنزل من الله تعالى على نبيه موسى، وكان هذا التوظيف من أجل الشبه الموجود بين الشخصيات الظالمة للعباد في روايته الزيني بركات، وبين الظالمين من بني إسرائيل الذين وجدوا ذلك مدونا في كتب محرفة، فيها افتراء على الله سبحانه وعلى الشعوب العربية المظلومة، فالتوراة الحقيقية منزهة عن كثير مما قيل في هذه الكتب المعروفة حاليا، وخاصة في ظلم الناس، فالله بريء من هذه الأقاويل.

ومن هذه التناصات الموظفة في رواية الزيني بركات: قول زكريا بن راضي « مهمة البصاص – بلا لف ودوران– اقامت العدل بين الناس ولكن بأسلوب لا يتقبله الناس».[1]

« المقشرة يا سادتي من أبشع سجون الدنيا، وأنا شخصيا "أتفاخر به" وأدعوكم إلى زيارة وجولة تطّلعون فيها على ما أعددناه للمساجين بها»[2]

« ولكي يلفظ الإنسان الحقيقة، يحقّ للبصاصين استخدام ما يراه مناسبا من كافة ألوان الأساليب التي تؤدي إلى نطق الإنسان بالحقيقة، ومن هنا كل ما يقوم به رجالنا من مهام وما يطبقونه من وسائل في كشف الحقيقة أحلته الشرائع كلها»[3]

1- الرواية ص256.

2- الرواية ص261.

3- الرواية ص260.

« ما من إنسان في الدنيا إلاّ وفي ميدان نفسه حفر وجراح وثغرات وقلاع ضعيفة يقع على عاتقي واجب النفاد منها، مرة أنفذ على مهل مستحبا ومتسللا لا يسمع لي صوت ولا أنفاس ولا فحيح، فجأة أبذر منجنيقي، أنصب مواقعي، أبث رماحي السامة أشهر سيوفي، ثم أهجم مرة واحدة، أُطَوِفُ، أخرق، أهدم ، أحيل البناء أنقاضا، والعمار خرابا، والأمان يأسا، والآمال فشلا مذبوحا والميناء الصالح لرسو السفن أجعله غير صالح لإيواء ورقة الشجر، وإذا كان في صرح الشجاعة نقطة خوف أحولها إلى بركة ثم محيط...، أقيم الحدود والحواجز أحفر الخنادق».[1]

« ومن التناص مع التوراة أيضا قول زكريا بن راضي: " لقد زرع روح البص في عقول أطفالهم منذ تعلمهم نطق الكلمات، فلا يسمع الطفل كلمة إلا وينقلها، وأصدق الخلق من الأطفال وشهاداتهم لا تكذب أبدا، وهكذا لو نجح كلّ واحد منّا كما نجح زميلنا الأعظم، لتوصلنا إلى تحويل البشر أجمعين بعد سنين إلى بصّاصين، وهذا أمر جليل يتطابق مع كل ملة ودين. » [2]

ففي هذا الحديث يوصي زكريا بن راضي جميع البصاصين بالاستعانة بالأطفال للوصول إلى أعمالهم الدنيئة ، وإلى أسرار النّاس داخل بيوتهم، ويبرر لهم بأنّ هذا موجود في كل ملة ودين، وهذا متناص مع هذا القول من التوراة المحرفة: "لأني أنا الرب إلهك – يهوه – إله عبور، أتفقد ذنوب الآباء في الأبناء، وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضوني، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي"[3]

1- الرواية ص261.

2- الرواية ص275.

3- الرواية ص275.

وكما نلاحظ هنا، أن وصايا زكريا بن راضي في التربص بالأطفال واستعمالهم من أجل نقل الأخبار من بيوتهم، متناص مع هذا القول الذي هو من التوراة المحرّفة، مستدعيا الإله "يهوه" في صفات زكريا بن راضي فهذا الإله قاس القلب متعطّش لسلفك الدماء، حيث يجرّ الأبناء الأطفال البريئين إلى أسر الآباء والجناية عليهم، فهو يحرض الأبناء ضد الآباء، وهذا ما فعله زكريا بن راضي في نصح البصاصين باستعمال الأطفال للتجسس على آباءهم.

ووجه التشابك ظاهر في المعنى واللفظ، فزكريا بن راضي في الرواية هو الإله "يهوه" في التوراة، ووجه الشبه بينهما في الكره الذي يحمله كلّ منهما للناس ومحاولة تظليلهم بطرق لا تخطر على بال أحدهم، وهو استعمال أبناءهم ضدهم.

" وأبث كمائني فأصيب النفس بجراح تبقى طرية حتى بعد الممات، أبث في الروح عكارة لا تروق أبدا، ... أحيل الحياة إلى جهنم أبطنها بشوك فيصبح الموت أملا مرتجى، ومتعة بعيدة المنال" [1]، وهذا متناص من التوراة المحرّفة، حيث جاء على لسان الإله متوجها إلى بني إسرائيل: " كَلِّمْ بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن في أرض كنعان، فتطردون كلّ سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع أصنامهم المسبوكة، وتخرّبون جميع مرتفعاتهم، تملكون الأرض وتسكنون فيها، لأنني أعطيتكم الأرض لكي تملكوها، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون بها، فسيكون أنّي أفعل بكم كما هممت أفعل بهم".[2]

1- الرواية ص261، 262.

2- الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر العدد، الاصحاح33، آية54، 55.

ووجه التعالق والتشابك بين القولين أن جمال الغيطاني في هذه الرواية قد شبّه أفعال زكريا بن راضي مع الناس وظلمه لهم وطرق تعذيبهم في سجنه والشر الموجود في داخله والمسلّط على إخوانه المسلمين (وكأنه ليس أبدا مسلما)، ببني إسرائيل الذين يفسدون في الأرض من أجل احتلالها، وإخراج الناس منها بطرق شنيعة من العذاب.

فقول زكريا بن راضي أن الأساليب المتبعة في كشف الحقيقة أحلّتها كل الشرائع، متناص مع هذا القول من التوراة الذي يحلّ ويبيح لبني إسرائيل القتل، والتدمير وسفك الدماء، والإبادة من أجل امتلاك الأرض، وهذا ما يفعله زكريا بن راضي، بما يتبعه من أساليب غاية في البشاعة مع أهالي مصر المظلومين، وهو بهذا الحديث يوصي جميع البصاصين بالتمسك وتتبع هذه الوصايا والأخذ بها، ويتباهى بأساليب التعذيب والتدمير حتى يتمكن من تحقيق أهدافه.

وهذا متناص مع هذا القول من التوراة العبرانية المحرفة: " جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظونها لتعملوها لكي تحبوا وتكثروا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم" [1].

وأيضا هذا القول: " احفظوا كل هذه الوصايا التي أوصيكم بها اليوم لكي تتشدّدوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لتمتلكوها، ولكي تطيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم أرضا تفيض لبنا وعسلا"[2]

فهذه الأقوال تحرّض بني اسرائيل على امتلاك الأرض إن حفظوا الوصايا وعملوا بها، وهذا ما قدّمه زكريا بن راضي للبصاصين من نصيحة لحفظ وصاياه من أجل تحقيق مشروعية عملهم.

1- الخروج ، الاصحاح11.

2-المصدر نفسه.

المبحث الرابع: التناص مع الإنجيل

الإنجيل هو الكتاب المنزل على سيدنا عيسى عليه السلام، وقد وظف الغيطاني بعض المتناصات معه وهي قليلة جدا، لأن الإنجيل الموجود حاليا ليس هو الكتاب الذي أنزله على عبده ونبيه عيسى عليه السلام، ومن هذه التناصات قول زكريا بن راضي: "ألم يثقلوا رأس المسيح عليه السلام بالشوك ودقّوا المسامير في جسده وصلبوه"[1]

فهذا المقطع من حديث زكريا بن راضي جاء في حديثه مع البصاصين في اجتماعهم الكبير، وبهذا القول يحاول إعطاء الدافع لكل بصّاص من الحاضرين لمتابعة عمله، حتى وإن لقي كل المصاعب التي لاقاها سيدنا عيسى عليه السلام في تبليغه لرسالته، فهو يصف عمل البصاص بأنه عمل رفيع عظيم جليل، يستحق الصبر والإرادة، لمواجهة كل الناس الذين يقفون معادين له، فعلى كلّ بصاص تحمّل الصعاب من أجل رسالته أي القيام بهذا العمل، حتى وإن حصل له مثل ما حصل لسيدنا عيسى من تعذيب وصلب من أجل رسالته، وحتى وإن أبغضه وكرهه كل الناس فعليه المواجهة إلى آخر لحظة، كما فعل سيدنا عيسى من أجل إبلاغ رسالة الحق لقومه، الذين ظلموه كثيرا وحاولوا قتله والخلاص منه.

والكلام السابق تناص مع ما جاء في الإنجيل: "عندما أسلم يسوع لمشيئتهم ليصلب، فأخذه الجنود وألبسوه ثوبا أرجوانيا ووضعوا إكليلا من الشوك على رأسه، وكانوا يستهزئون به، ويبصقون عليه، ثم حملوه صليبه وأخذوه إلى الموقع الذي يسمى جلجثا أي الجمجمة، وصلبوه هناك مع لصين واحد على يمينه، والآخر على شماله،

1- الرواية، ص256.

وكان بيلاطس قد أمر بأن توضع لوحة فوق صليبه كتب عليها يسوع الناصري، ملك اليهود "[1]

هذا المقطع من إنجيل يوحنا يروي أحداث صلب النبي عيسى عليه السلام وما تحمله من قساوة وظلم من قومه، الذين كذبوه ولم يصدقوا رسالة الحق التي أتى بها.

والتعالق بين المقطعين أن زكريا بن راضي يريد من جميع البصاصين التحلي بالصبر وتحمل المشاق والمتاعب من أجل مهنتهم التي يراها أنها شريفة، ولم يكن هذا التوظيف في محلّه من طرف زكريا، لأن عيسى عليه السلام تحمّل العذاب من أجل غاية عظيمة، وهي هداية الناس إلى الواحد الأحد، عكس مهنة البصاصين التي فيها تدخل في حياة الناس الخاصة ومحاولة تدميرها، فقد أخرج معنى المقطع المتناص عن سيدنا عيسى عن معناه وأزاحه عن استعماله الحقيقي الذي هو رمز التضحية والفداء من أجل غاية شريفة.

ومن المقاطع المتناصة مع الإنجيل التي وظفها الغيطاني في روايته الزيني بركات قول الرحالة فياسكونتي: "وقيل أن وليا من أولياء الله – قديس – كان يقيم في القاهرة، هجر بيته وانطلق إلى الريف يوقد نارا حامية يستفز الشعب، وأخبرني محدثي أن عمر التقديس يقدر بمائة عام بل أزيد، وأنه أوتي شجاعة عظيمة، وقال محدثي إنه شرب من نبع الحياة، ومن شرب من نبع الحياة لا يموت أبدا"[2]

وهذا القول يتحدث عن شخص سيظهر في مصر ويدفع الغزاة عنها، وهو رجل أسطوري، لا يهزم أبدا لأنه يحمل بيرقا رهيبا يقال له البيرق النبوي، وهذا

1- إنجيل يوحنا، 19، 19.

2- الرواية، ص316.

تناص مع ما جاء في الإنجيل على انه قول المسيح عليه " الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية"[1]

وأيضا:" كتب إليكم هذا أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكي تؤمنوا باسم ابن الله "[2]

وأيضا هذا القول: "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"[3]

في هذه الآيات من الإنجيل نجد أن من يؤمن بعيسى عليه السلام يمنح الله له حياة أبدية – لأنه حسب قولهم هو ابن الله– ومن يؤمن بابنه له الحياة الأبدية، وكل هذا أساطير، ولا وجود لها، ولا وجود لحياة أبدية على الأرض، إنما الحياة الأبدية في اعتقادنا نحن المسلمين هي في الآخرة.

والتعالق بين المقطع من الرواية وبين الآيات من الإنجيل هو أن الرجل الذي يقول عنه أهالي المصر أنه رجل أبدي يشبه هؤلاء الرجال الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام، وأن الله منحه حياة أبدية لأنه قد آمن بابنه، وكل هذا مجرّد أساطير يتناقلها الناس بينهم لأن الله منزه عمّا جاء في الإنجيل و أنه يمنح لعباده المؤمنين ببنوة المسيح حياة أبدية وهذا افتراء على الله تعالى، وتحريف للإنجيل الأصلي الذي أنزله الله على عبده ونبيّه عيسى ابن مريم عليه السلام.

1- إنجيل يوحنا، ص45.

2- المصدر نفسه، ص15، 18.

3- المصدر نفسه، ص29.293.

في نهاية هذا البحث يمكن تقديم حوصلة لما استنتجناه من خلال انجازنا لهذا البحث، وذلك بمحاولة الإجابة عن الإشكالية المطروحة بمتن المقدمة، وبالوقوف على أهم جوانب التناص و البحث عن تعريف له وتتبع مساره من النقد الغربي والعربي وإبراز أهمية التناص الديني في الرواية العربية و المتمثلة في إيصال الفكرة إلى المتلقي باعتبار أهمية الدين في المجتمعات، بالإضافة إلى الجمالية التي يحدثها التناص مع النص الديني في النص الجديد.

وقد اكشفنا في بحثنا هذا المتمحور حول التناص الديني في رواية الزيني بركات أن هذه الرواية غنية بالمتناصات الدينية، وقد وظفها الروائي جمال الغيطاني لمعالجة قضية الظلم والاستبداد وموقف الدين من هذه الظاهرة، وتبيان جزاء الظالم وما أعدّه الله تعالى له، وتبليغ هذه الرسالة عن طريق أهم شخصية في الرواية وهي شخصية الظالم الزيني بركات الذي يفتري على الناس بالباطل والنفاق للوصول إلى مصالحه الدنيئة.

ومن أبرز المتناصات في هذه الرواية التناص مع القرآن الكريم وكان ظاهرا في الآيات الواردة في خطابات الزيني بركات المتوجهة إلى أهالي مصر ليظهر بمظهر الزاهد الورع، وأيضا في المقاطع الروائية المتناصة مع آيات القرآن الكريم، وكانت أغلبها تتحدث عن الظالم وجزائه يوم القيامة.

وأيضا هناك تناص مع الحديث الشريف وفيه توظيف الأحاديث النبوية الشريفة بعضها وردت صريحة وبعضها وردت من خلال المقاطع الروائية التي وظف فيها أقوال الرسول صلّى الله عليه وسلم عن الظلم وعن الباطل، وأيضا هناك توظيف لبعض الكتب السماوية الأخرى كالتوراة و الانجيل.

وهذا كله كشف لنا عن الثقافة الدينية التي يتمتع بها جمال الغيطاني من خلال توظيفه للتراث الديني وهذا يضفي مصداقية أكثر على رواية الزيني بركات.

قائمة المصادر والمراجع

1) القرآن الكريم برواية حفص.

2) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر العدد، الاصحاح

3) ابراهيم عبد الفتاح رمضان، مقال بمجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الاسلامية والعربية، العدد الخامس، نوفمبر 2013م.

4) ابراهيم مصطفى محمد الدهنون، التناص في شعر أبي العلاء المعري، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011م.

5) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الافريقي المصري "ت 711ه "، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1978م.

6) أبو علي بن الحسن ابن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج2، د ط، 1981 م.

7) أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2001م.

8) إنجيل يوحنا الكتاب المقدس، القاهرة، 1996م.

9) إيمان الشنينـــي، التناص النشأة والمفهوم، جدارية محمود درويش أنموذجا، مجلة أفق الالكترونية، الاثنين 2013/10/15م.

10) التعلق النصي بين الرواية العربية والخطاب الديني " النفير والقيامة "، " فرج الحوار أنموذجا " الأستاذة منصوري نجوى، مجلة كلية الآداب واللغات، جانفي 2011م.

11) تزفيتان تودوروف، باختين المبدأ الحواري، نقلا عن رمضان الصباغ، نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 1998م.

12) التوراة العبرانية 11، الاصحاح، عدده.

13) جمال الغيطاني، الزيني بركات، تقديم فيصل درّاج، دار الجنوب للنشر، تونس، أفريل 2007م.

14) جمال مباركي، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، دار هومة، د ط.

15) جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، منشورات توبقال، المحمدية، المغرب، د ط، 1991م.

16) جيرار جنيت، مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمان أيوب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1986م

17) الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د ط، د ت،

18) حميد الحمداني، القراءة وتوليد الدلالة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 2003م،

19) داغر شربل ، التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري في مجلة فصول، العدد الأول، صيف 1997م، القاهرة.

20) سعد البازغي وميجان الرويلي، دليل النّاقد الأدبي، المركز الثقافي العربيّ، المغرب، ط2، 2001 م.

21) سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ط1.

22) سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي" النص والسياق"، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2001م.

23) سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الابداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط، 2005.

24) ضياء الدين بن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، 1995م، ج2.

25) عبد القادر بقشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، افريقيا الشرق، د ط، 2007م، المغرب.

26) عز الدين المناصرة، التناص المقارن، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992م.

27) عزة محمد جدوع، مجلة فكر وإبداع، العدد 09، الكويت، د ط، 1952م، ص127، 128.

28) ليديا عبد الله، التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005م.

29) مارك آنجينو في كتاب: (في أصول الخطاب النقدي الجديد)، ترجمة أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ط، 1987م.

30) محمد بن اسماعيل البخاري، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط5، 1993م، باب الانتصار من الظالم.

31) محمد بن عمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، المدارس، المغرب، ط1، 2001 م.

32) محمد بنيس، حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة، دار التنوير، المغرب، ط2، 1988م.

33) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار العورة، بيروت، ط1، 1979م.

34) محمد حاتم عبد الحميد المبحوح، التناص في ديوان " لأجل غزة "، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، د ط، 2015م.

35) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، دراسة نظرية تطبيقية سيمانطيقا السرد، مؤسسة الاستثار العربي، بيروت، ط1، 2008م.

36) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992.

37) ميشيل أريفييه، في كتاب السيميائية أصولها وقواعدها، ترجمة رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم: عز الدين المناصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002م.

38) ناصر الأسديّ، اغتيال الممانعة، عتبة سيميائيّة في التّناص والخطاب والحكاية، منشورات ضفاف، الرياض، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

39) نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار بوقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2007م.

40) نهلة فيصل الأحمد، التفاعل النصي " التناصية النظرية والمنهج"، سلسلة كتاب الرياض، السعودية، د ط، د س ط، العدد 104.

41) ياسر رضوان، التناص القرآني " دراسة في أشكال العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة "، دار إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2013م.

العـنـــــوان	الصفحة

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة..... أ– د

الفصل الأول: التناص الديني

تمهيد..... 06

التعريف اللغوي والاصطلاحي للتناص 08

التناص في النقد الغربي والنقد العربي 11

آليات التناص ومصادره..... 36

التناص الديني في الرواية العربية وجماليته..... 39

التناص الديني مع القرآن الكريم، السنة النبوية "الحـــديث النبـــوي"، ومـــع التوراة والانجيل 45

الفصل الثاني: التناص الديني في رواية الزيني بركات

التناص مع القرآن الكريم..... 51

التناص مع الحديث الشريف..... 76

التناص مع التوراة 83

التناص مع الانجيل..... 88

خاتمة..... 92

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس